

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية  
تصدر عن دار المعارف

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

# فكر الشعوب كما تنصوره سورة المؤمنون



دار المعارف





# أقرأ

سلسلة ثقافية شهرية  
تصدر عن دار المعارف

---

[٧٢٥]

رئيس التحرير

إسماعيل منتصر

**بطاقة الفهرسة  
إعداد الهيئة المصرية العامة  
لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية**

للمسير ، محمد سيد أحمد .  
فكر الشعوب كما تصوره سورة المؤمنين .  
محمد سيد أحمد للمسير .  
ط ١ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٨ .  
١٩٢ ص ١٩١ سم . ( سلسلة اقرأ ) .  
تكم ٣ - ٧٢٢٦ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .  
١ - الفلسفة الإسلامية . ٢ - الثقافة العربية .  
(أ) العنوان .

نوى ١٨٩،١

رقم الإيداع ٢٠٠٨ / ١٦٩٦٦ ١ / ٢٠٠٨ / ٢٦

**تنفيذ المتن والغلاف  
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات  
دار المعارف**

نائب رئيس التحرير

**منى خشبة**

مدير التحرير

**كريمة متولى**

مدير فنى

**شريفة أبو سيف**

تصميم الغلاف

**شريف رضا**

الناشر : دار المعارف - ١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هاتف ٢٥٧٧٠٧٧ - فاكس ٢٥٧٤٩٩٩ - E-mail: maaref@idsc.net.eg

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

# فكر الشعوب كما تصوره سورة المؤمنون



دار المعارف

# اقرأ

إن الذين عتوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها،  
لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر  
الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون  
إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا،  
وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من  
الثقافة، والطمح إلى حياة عقلية أرقى  
وأخصب من الحياة العقلية التي نعيشها.  
طه حسين



أحلام شهرزاد - العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى..

أما بعد..

فالشعوب فكر وعقيدة قبل أن تكون اقتصادا ومادة، وهذا الفكر أو الاعتقاد قد يكون حقا أو باطلا..

وتلك هي قصة الإنسان منذ نشأته، والتاريخ في كافة دروبه ومسالكه صراع بين الحق والباطل..

وهناك من ينادى بإرادة الحق، وعلى قمة هؤلاء البشر- الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى وحملهم أمانة التبليغ عن الخالق إلى الخلق بدءا بآدم عليه السلام ومرورا بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم وختاما بسيدنا محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم..

وهناك من ينادى بإرادة القوة دون ولاء للحق، وفي مقدمة هؤلاء البشر حكام مستبدون، وطغاة مستكبرون، وفلاسفة مخبولون يعرفهم الناس في كل زمان ومكان..

وسورة المؤمنون إحدى سور القرآن العظيم، نزلت قبل الهجرة، وتحمل رقم ثلاث وعشرين في ترتيب المصحف الشريف، وتقع بين سورتي الحج والنور، وآياتها مائة وثمانى عشرة آية، وتسوق أنماطا من فكر الشعوب على مدى التاريخ..

لقد صاغت سورة المؤمنون هذا الفكر فى مقطوعات بيانىة معجزة،  
وفى تعبيرات ذات إيقاع نفسى أخاذ، وإيقاع عقلى فذ، وفى تعاقب  
يسلم بعضه لبعض فى رفق وأناة وحكمة..

ولم نشأ أن نخرج عن إطار السورة الكريمة بتفسير موضوعى يصلح  
أن يوضع فى كل سورة أو يكون أقرب إلى القصص القرآنى فتلك مسألة  
أخرى لسنا بصدها هنا..

وقد وقفنا خاشعين أمام آيات السورة الكريمة نوضح المعنى ونجلى  
الفكرة ونؤكد الحق وندحض الباطل ونتابع مسيرة فكر الشعوب..  
وقد جاءت مباحث الكتاب على النحو التالى:

● ثمرات الإيمان.

● دلائل الإيمان.

● فكر قوم نوح عليه السلام.

● فكر قوم هود عليه السلام.

● فكر بنى إسرائيل.

● قانون الصراع الفكرى.

● الرسالة العامة الخالدة.

● المصير الإنسانى.

ونقدم هذه المباحث فى إطار دراسة الأديان من خلال القرآن  
المجيد، ذلك الكتاب الخالد الذى ناقش كل مذهب، وجادل كل



فرقة، وحاوِر كل اتجاه بالحجة والبرهان، وكان شعاره المرفوع أمام خصومه جميعاً:

﴿قُلْ مَا تَوْابِرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)  
﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ (٢).

المؤلف

أبو حذيفة

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة— كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

---

(١) سورة النمل— الآية ٦٤.

(٢) سورة الأنعام— الآية ١٤٨.







## ثمرات الإيمان

- فلاح المؤمنين
- الخشوع في الصلاة
- الإعراض عن اللغو
- إيتاء الزكاة
- طهارة الأعراض
- أداء الأمانة وحفظ العهد
- المحافظة على الصلوات
- ميراث الفردوس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②  
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ  
فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَى  
أُزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥  
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ  
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ  
يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ  
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ ﴾

المؤمنون الآيات من ١ - ١١



## فلاح المؤمنين

**قال** الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾. المؤمنون الآية ١.  
سورة «المؤمنون» من السور المكية التي تعالج قضايا العقيدة،  
وافتحت السورة بتأكيد أن الإيمان هو الفوز والفلاح المبين، وأن  
التصديق المقترن بالعمل الصالح هو سبب ميراث الفردوس الأعلى..  
وجاء في مسند الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان إذا  
نزل على رسول الله ﷺ الوحي، يسمع عند وجهه كدوى النحل، فلبثنا  
ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال:

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا  
ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: لقد أنزل على عشر آيات  
من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ «قد أفلح المؤمنون، حتى ختم العشر».

هذا والإيمان في المنظور الإسلامي يفتضم أموراً جوهرية هي:

- ١- الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته القدسية.
- ٢- الإيمان بالملائكة الكرام البررة الذين لا يعصون الله ما أمرهم  
ويفعلون ما يؤمرون.

٣- الإيمان بالكتب المنزلة لهداية البشر وليقوم الناس بالقسط.



٤- الإيمان بالرسول والأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر، يوم الفصل، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وتجدد كل نفس ما قدمت وأخرت..

وإن عالم اليوم الذى تصارعت فيه القوى والمذاهب، ووصل إلى درجة التشيع المادى الرخيص، أصبح يتلهف على عقيدة تؤازر العقل الراشد، وتهب السعادة للنفس الإنسانية، وتتسامى بعواطف الإنسان وغرائزه إلى آفاق الملائ الأعلى..

ولن تكون تلك العقيدة إلا عقيدة الإسلام الذى ختم الله به الرسالات، فهو الدين القيم، وهو أمل الإنسانية المرتقب فى اليوم وفى الغد بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

فالعقيدة الإسلامية هى الدين الخالص الذى لا يعرف معبودا غير الله الواحد الأحد له وحده العبادة، وبه وحده الاستعانة، وعليه وحده التوكل، وإليه وحده المناجاة والتضرع..

قال تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥ ﴾ . البينة الآية ٥.

والعقيدة الإسلامية لا تعرف تشبيها أو تجسيدا بل كل ما طرأ ببالك فانه بخلاف ذلك.. قال سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١ ﴾ الشورى الآية ١١.



والعقيدة الإسلامية لا تعرف حلولاً أو اتحاداً ، فالكون والكائنات  
جميعاً مربية لله سبحانه ، وواقعة تحت قهره وسلطانه وهيمنته..  
قال جل شأنه ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا  
وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُورِ وَأَصْحَالِ ۝ ١٥ ﴾ الرعد الآية ١٥ .

والعقيدة الإسلامية لا تعرف وساطة أو كهانة ، وقد نص القرآن  
المجيد على قوم بدلوا عقيدة التوحيد كفراً فقال ﴿ اتَّخَذُوا  
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ  
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا  
هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ٣١ ﴾ التوبة الآية ٣١ .  
هذا هو الإيمان الصحيح وتلك هي عقيدة النجاة والفوز الأكبر في  
الأولى والآخرة..





## الخشوع فى الصلاة

قال

الله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون الآية ٢).  
الوصف الأول للمؤمنين المفلحين هو الخشوع فى الصلاة،  
والارتباط بين الصلاة والإيمان وثيق الصلة فمتى تحقق فى القلب جلال  
الله وكماله وتيقن الإنسان عظمة الله وسلطانه أدى الصلاة بخشوع وَعَقْلٍ  
ما يقرأ واطمأن فى أركانها وأتى بآدابها على الوجه الأكمل قال تعالى  
﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة الآية ٢٣٨).

وقد أمر رسول الله ﷺ بالذهاب إلى الصلاة فى سكونة ووقار ونهى عن  
الصلاة فى حضرة الطعام أو مع مدافعة الأخبثين، ونهى عن رفع البصر  
إلى السماء والالتفات وغير ذلك، حتى تسكن الجوارح ويخشع القلب  
ويصفو العقل للمناجاة والتدبر..

فى صحيح مسلم عن أنس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم  
فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس إني أمامكم فلا  
تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم  
أمامى ومن خلفى ثم قال: والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم  
لضحكتكم قليلا ولبيكنم كثيرا، قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال:  
رأيت الجنة والنار.



وفى تهديد شديد ووعيد يقول عليه الصلاة والسلام- كما فى صحيح مسلم:

«ليفتنهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أو لا ترجع إليهم».

وفى رواية «أو لتخطفن أبصارهم» .

ويقول عليه الصلاة والسلام- كما فى صحيح مسلم-: «أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» .

وجاءت أحاديث تحدد آداب الوقوف فى الصلاة وإتمام الصفوف، فقال عليه الصلاة والسلام «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وتسعون وأتوها تمشون وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» .

وفى تعليق لطيف جاء فى بعض الروايات «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو فى صلاة».

وقد شبه الرسول الكريم صفوف الصلاة بصفوف الملائكة وأمر بإتمام الصف الأول فالأول، ويتسوية الصفوف وأن يلى الإمام أولو الأحلام والنهى فقال كما فى صحيح مسلم: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ: يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» .

وبهذا يتحقق الخشوع فى الصلاة ويكتسب المرء ثوابا جزيلا ويحقق فوزا كبيرا ويكون دائم السعادة فى قلبه وفؤاده.



## الإعراض عن اللغو

**قال** الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ المؤمنون الآية ٣.  
قال الإمام ابن كثير:

اللغو هو الباطل، وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم، والمعاصي كما قاله آخرون، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ الفرقان الآية ٧٢.  
وفي الحق فإن هذا التفسير يجعل من الآية - على وجازتها - في قمة البيان الإعجازي، فقد وصف الله المؤمنين هنا بجانب مهم جداً، ألا وهو جانب التخلية عن الشرك والمعاصي وما لا فائدة فيه..  
فالمؤمن لا يتحقق إيمانه حتى يكفر بالطاغوت، ويترك الآلهة المزعومة، ويدع الأصنام بكافة صورها وألوانها.. وعلى رأسها الآن أصنام المال والجاه والسلطة، فإن بعض الناس يصبحون عبيد الدرهم والدينار، أو عبيد المنصب والجاه، أو عبيد السلطة والسلطان..  
والمؤمن الحق يربأ بنفسه عن كل هذه الطواغيت، ويعتز بعزة الله جل شأنه، فهو سبحانه له الخلق والأمر، وملكوت كل شيء بيده، كذلك فإن المؤمن لا يصفو إيمانه حتى يتجنب المعاصي والآثام كلها، فإنها بريد الكفر والعياذ بالله.



والنهي في الدين أشد من الأمر، بمعنى أنه حيث ورد النهي يجب الانتهاء كلية بلا تجزئة ولا تبعض، وحيث ورد الأمر فهو مرتبط بوسع الإنسان واستطاعته..

وفي الحديث المتفق عليه: عن أبي هريرة، عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

ومن جهة ثالثة فإن المؤمن لا يكمل إيمانه حتى يدع ما لا يعنيه من فضول القول والفعل والتفكير.. فالمسلم يهتم بأمر معاشه ومعاده، ويترك ما وراء ذلك حتى يسلم من التبعات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

والمسلم له ورع يحجزه عن الشبهات، ويباعد بينه وبينها، وقد حفظ الحسن بن علي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته - وصية من جده قال «دع ما يريبك إلى ما يريبك».

وفي وصية نبوية أخرى:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

والإطار العام لهذه الصفة الجليلة من صفات المؤمنين «والذين هم عن اللغو معرضون» هو أن يواصل الإنسان ارتباطه بالله تعالى ويتعلق قلبه وقالبه بذكره سبحانه.. فإن المشغول لا يشغل.



وقد أتى أعرابي إلى النبي ﷺ فقال:  
يا رسول الله إن شوائع الإسلام قد كثرت عليّ، فباب نتمسك به  
جامع.

قال: «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله» رواه أحمد.  
وهكذا يعيش المؤمن بعيدا عن اللغو حريصا على ما ينفعه.





## إيتاء الزكاة

**قال** الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ المؤمنون الآية ٤.  
 الزكاة أحد أركان الإسلام، وهي تطهير للمال وتزكية للخلق  
 وتكافل اجتماعي قال الله جل شأنه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ  
 وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾  
 التوبة الآية ١٠٣.

وتكون الزكاة في الأموال والزروع والثمار وعروض التجارة  
 والسائمة من الأنعام، وتحدث القرآن المجيد حديثاً مطولاً عن الزكاة  
 فقرنها بالصلاة في أكثر من موضع قال الله سبحانه ﴿فَأَقِمْ وَاقِ  
 الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ  
 النَّصِيرُ﴾ الحج الآية ٧٨.

وحذر القرآن من اكتناز المال ومنع الحق فيه فقال ﴿يَوْمَ يُحْمَى  
 عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ  
 هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾  
 التوبة الآية ٣٥.

وأمر القرآن بإخراج حصة الفقير من الزروع يوم الحصاد فقال ﴿وَهُوَ  
 الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا



أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ الأنعام الآية ١٤١.

والزكاة وهي نسبة مقدرة في المال ليست هي كل ما يجب إخراجه من المال بل إن في المال حقا سوى الزكاة، وعندما تحدث القرآن عن البر ومفهومه العام الشامل جعل من خصائص الأبرار إنفاق المال على ذوى الحاجات ومنافع المسلمين بلا تحديد نسب معينة بالإضافة إلى إيتاء الزكاة التي هي مقدرة شرعا بنسب خاصة.. قال الله تعالى.. ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة الآية ١٧٧.

فالمال مال الله استخلفنا فيه وليس للإنسان من ماله إلا ما تصدق به أما ما عدا ذلك فمآكل تفنى وملابس تبلى ومظاهر خادعة، والمال نعمة يوم يسخر لخدمة المجتمع ويراعى فيه حق الضعفاء والمحتاجين وذوى القربى والأرحام وإلا انقلب إلى نقمة وأصبح وبالا على صاحبه في الدنيا والآخرة، وفي الصحيحين أن أبا ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى



النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب  
الكعبة فجئنت فجلست فلم أتقار أن قمت فقلت يا رسول الله فذاك أبي  
وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه  
وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه وقليل ما هم.





## طهارة الأعراض

**قال** الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ٥ ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ٦ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ٧ ﴿ المؤمنون الآيات من ٥ : ٧ .

الإسلام حريص على العفاف الشريف وأن يلتقى الرجل بالمرأة باسم الله وعلى منهج الله مودة ورحمة ولذا كان الزواج آية من آيات الله، قال جل شأنه ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٢١ ﴿ الروم الآية ٢١ .

وقد أمر الإسلام بتيسير الزواج فأخفهن مهرا أكثرهن بركة وحث على الأمر العام والخاص على المشاركة في تكاليف الزواج للراغبين فقال جل شأنه ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٢٢ ﴿ النور الآية ٣٢ .

وذات يوم قدم رجل إلى رسول الله ﷺ يطلب المساعدة في صداق زوجته فسأله المصطفى الكريم: على كم تزوجتها؟ قال الرجل على أربع أواق فتعجب الرسول ﷺ وقال كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل.



أى إنكم لا تقطعون الأموال من الجبال فلا تغالوا فى المهور..  
والمسلم أو المسلمة على أية حال هو عفيف طاهر العرض لا يرسل  
النظرة الآثمة ولا يقف موقف الريبة ولا يخلو بأجنبية، ولا يشارك  
فى مجلس تنتهك فيه حرمة الله..

قال الله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا  
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ  
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا  
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴿النور الآية ٣٠، ٣١﴾  
وقوله تعالى «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» مفسر عند جمهور العلماء  
بالوجه والكفين بالصورة الطبيعية من غير افتعال فى لفت الأنظار  
إليهما، والخمار غطاء الرأس والجيب فتحة الثوب على الصدر وقد  
أمرت المرأة المسلمة أن تغطى صدرها بغطاء رأسها فلا يبدو عنقها ولا  
شعرها ولا آذانها..

والحياء هو شعار المسلم والمسلمة، وهو خير كله ولا يأتى إلا بخير  
وهو شعبة من شعب الإيمان، وقد قال رسول الله ﷺ «إن مما أدرك  
الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» فالمسلمون  
رجالاً ونساء يحفظون فروجهم ويتسامون بغرائزهم فلا يمارسونها إلا  
فى ظلال الشرع الحنيف وفى ضوابط الدين القيم والفطرة السوية، وأية

محاولة لإشباع الفريزة في غير إطارها الشرعى تجعل الإنسان يهوى  
إلى حضيض الحيوانية ويلتقى مع العجماوات بل يكون أضل منها..





## أداء الأمانة وحفظ العهد

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨) المؤمنون الآية ٨.

الأمانة هي كل ما استودعك الله وأمرك بحفظه أو ائتمنك عليه الناس، والعهد هو كل ما أخذ عليه التأكيد بحفظه من حقوق الله وحقوق الناس. فالعهد والأمانة مرتبطان، فمن لا عهد له لا أمانة له، ومن لا أمانة له لا عهد له..

والوفاء لله هو مقدمة الوفاء للبشر، والالتزام بعهد الله هو مقدمة الالتزام بعهود البشر، والحفاظ على قدسية الله هو مقدمة الحفاظ على كرامة البشر..

ولن تكون هناك قيم وأخلاق إلا من خلال الإيمان بالله والاستقامة على دينه.. وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والحفاظ على الأمانات، فقال سبحانه في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الآية ١.

وقال جل شأنه في سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية ٥٨.

وخلف الوعد وتنقض العهد وخيانة الأمانة من خصال المنافقين . قال عليه الصلاة والسلام «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب . وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر» .

ومن المثل الرائدة والنادرة في تاريخ البشر- ما جاء في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال :

ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي- حُسَيْل- <sup>(١)</sup> فأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمدا ، فقلنا ما نريده ، ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : «انصرفا ، نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم» .

لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين في الجاهلية وكان خلقه القرآن في الإسلام ، وقد ظل يقين الصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم في سويداء قلب المجتمع المكي لم يتزلزل حتى مع كفرهم بالرسالة التي دعا إليها رسول الله..

وتدور الأيام ويخرج الرسول مهاجرا إلى المدينة ، ويستخلف عليا في فراشه ليوارى عنه أعين المشركين المؤتمرين به ، وليود عنه الودائع

---

(١) حُسَيْل والد حذيفة بن اليمان أما اليمان فهو لقب له .



التي انتمنه أهل مكة عليها، فلم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه  
إلا استودعه عند الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ...

أليس هذا هو الخلق العظيم؟!

إن صاحب هذا الخلق العظيم هو القائل: «أد الأمانة إلى من ائتمنك  
ولا تخن من خانك».

وفي حديث رواه الإمام أحمد بسند جيد عن ابن مسعود قال:  
يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة التي خان فيها، فيقال له: أد  
أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا، قال: فتجعل له كهيئتها  
يوم أخذها- في قعر جهنم، ثم يقال له: انزل إليها فأخرجها، قال:  
فينزل إليها فيحملها على عاتقه، فهي عليه أثقل من جبال الدنيا،  
حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين..

قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والغسل أمانة، والوزن أمانة،  
والكيل أمانة.. وأعظم ذلك الودائع.

نسأل الله أن يتداركنا بلطفه، ويعاملنا بإحسانه، ويطهرنا على طاعته  
وأداء أمانة الدين والدنيا..



## المحافظة على الصلوات

قال

الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المؤمنون الآية ٩.  
الصلاة فريضة محكمة، وركن من أركان الإسلام يتكرر يوميا خمس  
مرات، فهي خمس في الفعل وخمسون في الأجر والثواب، افترضها الله  
تعالى على أمة محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في مناجاة علوية قدسية..  
وقد جعلها الله جل شأنه في مواقيت خاصة بدءا ونهاية فقال ﴿إِنَّ  
الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء الآية  
١٠٣)، ولا تسقط عن المكلف بحال من الأحوال مادام عاقلا، فهي تؤدي  
مع الصحة والمرض، وتؤدي في الإقامة والسفر، وتؤدي في الحرب  
والسلم ولكن بكيفيات مختلفة تيسيرا من الله ورحمة بعباده..  
فهناك الصلاة من قيام أو جلوس أو اضطجاع، وهناك الصلاة إتماماً  
وقصرًا، وهناك الصلاة جمعا تقديمًا كان أو تأخيرًا.. ﴿وَمَا جَعَلَ  
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج الآية ٧٨.  
وتوزيع الصلاة على اليوم والليلة له حكم جليلة، فالمسلم يستفتح  
يومه بالذي هو خير فيؤدي صلاة الفجر شكرا لله الذي أحياه بعد أن  
أماته فالنوم يشبه الموت..

ثم يمارس المسلم نشاطه يبتغي فضل الله في مناكب الأرض طاهرا  
منشرح الصدر مراقبا لحدود الله.



وخلال انهماكه فى مطالب الحياة اليومية يسمع صوت المؤذن لصلاة الظهر فيهرع لإجابة النداء ويقف أمام الخالق الأعظم يتزود بخير الزاد ويمتلئ طهرا ونقاء..

ثم يعاود إتمام أعماله وواجبات وظائفه فى هذه الحياة وقد يصادفه ما يشغله عن التفكير فى آلاء الله أو قد يعتريه خطأ أو يقع فى خطيئة فيفاجأ بصوت الحق مناديا لصلاة العصر فيجدد العهد مع الله وفاء لهذا الدين القيم..

ثم يخرج من صلاته ليواصل رحلته اليومية وقد يعتريه من عناء العمل أو مغريات الحياة ما يشده بعيدا عن آفاق الإيمان العليا، فيجد أن أذان المغرب قد حان فيلجأ إلى الله فى ضراعة وخشوع مؤديا صلاة المغرب.

ثم فى نهاية يومه يختمه كما بدأه يشكر الله على نعمه التى لا تعد ولا تحصى فيصلى صلاة العشاء ويأوى إلى فراشه قائلا : اللهم إن أمسكت نفسى فاغفرلها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» .

وفى تصوير أثر الصلاة فى حياة المسلم يقول عليه الصلاة والسلام- كما فى صحيح البخارى : أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا يُبقى من درنه شيئا، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.

## ميراث الفردوس

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ المؤمنون الآيات ١٠، ١١.

تأتى هاتان الآيتان تتويجا لصفات المؤمنين، وجزاء لصالح أعمالهم ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾﴾ الرحمن الآية ٦٠.

فالمؤمن بالتزامه الكامل بأمر الله ونهيهِ، واستقامته على الصراط المستقيم يمتن الله عليه بالحسنى وزيادة ويورثه الفردوس الأعلى..

ومن المعلوم أن دخوله الجنة بفضل الله ورحمته، لأن نعم الله على الإنسان في هذه الدنيا خلقا وإمدادا وعطاء— لا تعد ولا تحصى، ومهما شكر الإنسان ربه فلن يفي بشيء يذكر، بل إن التوفيق للشكر نعمة أخرى جلية، فشكرنا يحتاج إلى شكر آخر..

ولله در القائل:

يارب لك الحمد على كل نعمة

ومن أفضل النعماء قولي لك الحمد

وعلى هذا فالجنة منة إلهية، وتفضل، وعطاء ربانى خالص، ومن

هنا نفهم قول رسول الله ﷺ:

«لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا

إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل». رواه مسلم.



ومن كرم الله على عباده أنه سبحانه يضاعف الحسنه أضاعفا كثيرة ولا يضاعف السيئة.. قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) الأنعام الآية ١٦٠.

ومن خلال هذا الفضل والعطاء المتواصل كانت وصية رسول الله ﷺ: «إذا سألتكم الله الجنة فاسأئوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن» متفق عليه. والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد تتشابه الأسماء ولكن الحقائق فوق الوصف قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة الآية ٢٥).

وقال جل شأنه ﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) مُشْكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيُطَوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَبَّيْنَهُمْ ثَوَّلُوا مَنْشُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَتْ ثُمَّ رَأَتْ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ

ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَوْهُمْ زُبَيْنَ  
شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾

الإنسان الآيات من ١٢ : ٢٢ .

وهذا النعيم الذي لا ينفد يصاحبه نعيم روحى لا تعبر عنه  
كلماتنا وتقتصر عن الوفاء بوصفه.. أشار إليه القرآن المجيد فى أكثر  
من موضع ، فقال ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ القوبة الآية  
٧٢ ، وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ  
لَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةً وَدًّا ﴾ ﴿٩٦﴾ مريم الآية ٩٦ .

فالرضوان والود إشارة لطيفة إلى معان روحية غير معهودة فى  
دنيا البشر ، والإنسان فى النعيم المنقطع مؤرق تعتريه الهموم لكن  
نعيم الجنة لا ينقطع ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ الرعد الآية ٣٥  
وأهل الجنة خالدون أبدا ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ  
الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿٥٦﴾ فضلا من ذلك هو الفوز  
الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ الدخان الآيات ٥٦ ، ٥٧ .





## دلائل الإيمان

- خلق الإنسان
- المصير الإنساني
- إبداع السموات
- ماء المطر
- رزق الله
- الشجرة المباركة
- عبرة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ  
نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا  
الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا  
الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ  
الْمُخْلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِيتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ  
وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ  
فَأَنْشَأْنَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا  
لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَاوِكَةً كَثِيرَةً وَمِنْهَا  
تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ  
وَصَبِغٍ لِلَّذِينَ يَكْنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْفِيَكُمْ مِمَّا فِي  
بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
الْفُلْكِ تَحْمَلُونِ ﴿٢٢﴾ ﴿المؤمنون الآيات من ١٢ - ٢٢﴾



## خلق الإنسان

**قال** الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ﴾ المؤمنون  
الآيات من ١٢ - ١٤.

نحن أمام نص كريم يفتح آفاقا عليا في البحث العلمي ، سبق به القرآن المجيد منذ أكثر من أربعة عشر قرنا..

لقد ساق القرآن أطوار الجنين في رحم الأم ابتداء من النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة ، فيعلق بالرحم ذلك القرار المكين المحفوظ برعاية الله وعنايته ، ثم تتحول العلة التي هي قطعة دم صغيرة إلى مضغة أي قطعة لحم قدر ما يمضغه الإنسان في فمه ، ثم تتحول هذه المضغة إلى الهيكل العظمي للإنسان ثم تكسى هذه العظام شيئا فشيئا باللحم ، وبذلك تتم النشأة المادية للإنسان إلى أن يأذن الله بنفخ الروح فيه فيصير بشرا سويا ، ويمكث مدة الحمل التي حددها الله عز وجل ليخرج بعد ذلك بقسرة العلى الأعلى طفلا صغيرا يبدأ عهده بهذه الأرض..

ولا نملك إلا أن نقول «تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أى تنزهه وتقدس  
الله الذى أبدع صنع الإنسان وأحسن خلقه وتصويره..

والتعبير القرآنى بخلق الإنسان من سلاله من طين يحتمل أمرين:  
الأول خلق آدم من خلاصة الأرض ومروره فى أطوار الخلقة الخاصة  
به من تراب وطين وطين لازب وحماً مسنون وصلصال كالفخار.. وفى  
حديث رواه أحمد والترمذى وأبو داود «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها  
من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء فيهم الأحمر  
والأبيض والأسود وبين ذلك. والخبيث والطيب وبين ذلك» .

الاحتمال الثانى: أن المراد بخلق الإنسان من طين هو نحن - أنا  
وأنت وسائر البشر - فحياتنا موقوفة على الغذاء وهو نوعان نباتى  
قادم من الأرض وحيوانى قائم على ما يخرج من الأرض فيكون غذاء  
الإنسان كله من الأرض مباشرة أو بطريق غير مباشرة، فيصح أن يقال:  
خلقنا الله من تراب..

إن هذا الأصل الذى نلتقى عليه جميعاً وهذه الرحم التى تجمعنا لو  
عَقَلَ الناس الحكمة من ذلك لخففوا من غلواء كبريائهم وعاشوا عباد الله  
إخواناً.. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾  
(الحجرات الآية ١٣).



## المصير الإنساني

**قال** الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الآيات ١٥ ، ١٦ .

خلق الله الإنسان ليعمر الأرض وينتفع بخيراتهما ويعيش عليهما بمنهج الله الذي جاءت به الرسل ، والذي يؤكد أمرين هما : تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله .. قال الله تعالى .. ﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ البقرة الآية ٨٣ .

ولم يخلق الإنسان ليخلد في هذه الدنيا ، بل إن الموت يلاحقه في كل لحظة .. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الأعراف الآية ٣٤ .

ولم يخلق الإنسان ليترك سدى وتنتهي قصة حياته عند حافة القبر ، بل هناك موعد لا يخلف للحساب والجزاء .. قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١١٥﴾ المؤمنون الآية ١١٥ .

والبعث هو إخراج الناس من قبورهم وإحيائهم بعد موتهم ليتحقق فيهم العدل الإلهي ، وأن قدرة الله التي أبدعت الإنسان هي التي تعيده

يوم القيامة، بل الإعادة أهون في نظر العقل ومنطق الفطرة، والله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يشغله حال عن حال، ولا يعزب عنه مثقال ذرة..

والإيمان بالموت بعد الحياة وبالبعث بعد الممات هو من صميم العقيدة وجزء الإيمان على مدى الرسالات الإلهية كلها، ووقف كل نبي يواجه قومه بهذه الحقيقة.. قالها نوح ﴿ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (هود الآية ٣)، وقالها هود ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الشعراء الآية ١٣٥)، وقالها شعيب ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (هود الآية ٨٤)، وقالها موسى ﴿ إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (غافر الآية ٢٧)، وقالها مؤمن آل فرعون ﴿ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴾ (٣٢) يوم تولون مذبذبين ما لكم من الله من عاصم ﴿ غافر الآيات ٣٢، ٣٣.

وقد يتوهم البعض أن عقيدة البعث ترهب الناس وتسلبهم الأمن وتقمع بهم عن العمل والسعي، وهذه خطيئة فكرية، فإن الناس حين يعقلون حقيقة البعث والحساب والجزاء يسارعون إلى الخيرات ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتعاونون على بناء الحياة الكريمة الطاهرة، ويعيشون سعاداً بالأمن والإيمان مدركين للمسئولية الإنسانية ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ (٨) الزلزلة الآية ٧، ٨.



## إبداع السموات

**قال** الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧) ﴿ المؤمنون الآية ١٧ .

تقدم هذه الآية القرآنية آية كونية لها دلالتها القوية القاهرة على قدرة الله وعظيم سلطانه، لقد خلق الله سبع سموات، وصفت في القرآن بأوصاف عدة، فهي طباق: قال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ الملك الآية ٣، وهي شداد، قال تعالى ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ (١٢) ﴿ النبأ الآية ١٢، وهي رقيقة القدر سميكة البناء، قال تعالى ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (٢٧) ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴾ (٢٨) ﴿ النازعات الآيات ٢٧، ٢٨، وهي بلا عمد مرثية، قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ الرعد الآية ٢.

. والسماء في اللغة هي كل ما علاك: لكن في الاصطلاح الشرعي بناء فخم ضخم واسع محكم، لم يصل العلم إلى حقيقته حتى الآن، والذين يفسرون السموات بالمجموعة الشمسية واهمون، فإن هذه المجموعة وغيرها من المجموعات الفلكية العديدة تحدث عنها القرآن بأنها

زينة السماء فقال: ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (٦١) الفرقان الآية ٦١، وقال ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ (٦) الصافات الآية ٦، وقال ﴿ وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ﴾ الملك الآية ٥.

فهذه النجوم والكواكب هي تحت السماء الدنيا وليست إحدى السموات أو مجموع السموات، وفوق كل ذي علم عليم.

والسمااء مسكن الملائكة وهي طرائق ومسالك شتى.. قال تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الشورى الآية ٥، وفي الحديث الشريف « أظنت السماء وحق لها أن تظن: ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راقع أو ساجد » وهذا البناء الفخم الضخم محكوم بإرادة الله، مقهور بقدرته سبحانه، واقع تحت قبضته جل شأنه فالله خلق ودبر، وخلق وهدى، وخلق وسوى، ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧) المؤمنون الآية ١٧.

فالله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والله تعالى هو القيوم القائم على كل شيء بما يحفظ وجوده، ويمنحه نواميسه، ويمده بوسائل التمكين المناسبة، ويرعاه حق الرعاية، ولا يشغله شأن عن شأن.. قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي



خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي  
الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ  
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

الأعراف الآية ٥٤.



## ماء المطر

قال الله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾ (١٨) ﴿المؤمنون الآية ١٨﴾.

يذكر الله الإنسان بنعمة الماء، وهي نعمة جليلة قامت عليها الحياة في شتى أشكالها وألوانها..

وقدرة الله فائقة في تيسيره لبنى الإنسان، فالماء يتبخّر من البحار والمحيطات، ويتصاعد في أجواء الفضاء فتحمله السحب ويبسطه الله في السماء كيف يشاء، فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء.

وقد أطلق على السحاب في القرآن لفظ السماء، وهي كل ما علاك، قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ «ق» الآية ٩، كما أطلق عليه لفظ المعصرات وهي السحاب المحملة بالماء تعصر فيخرج منها الماء، قال جل شأنه ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (١٤) ﴿النبا الآية ١٤﴾.

واقترضت حكمة الله أن الماء لا يضيع لوقته ولا يذهب سدى، وإنما سلّكه قدرة الله ينابيع في الأرض، وهي العيون والمجارى المائية حتى ينتفع به الناس على مدار حياتهم، كما شاءت إرادة الله أن ينزل الماء بقدر حاجة البشر عامة، لا بزيادة فيحصل الطوفان العام ولا بنقص



فيحصل القحط العام.. فماء المطر يكفي البشر قاطبة لكن قد يزيد في منطقة أو يقل على مقتضى الحكمة الإلهية..

والتعبير القرآني.. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ يفيد عدة معانٍ، فقدرة الله على الذهاب بالماء قد تعني حجب المطر فلا ينزل.. قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى الآية ٢٨) ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء..

وقد تعني قدرة الله على الذهاب بالماء عدم وصول الماء إلى المحتاجين، فينزل المطر بعيدا عنهم أو تبتلعها الأودية والقفار.. قال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمِنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (الملك الآية ٣٠) وقد تعني قدرة الله على الذهاب بالماء تحويله إلى ملح أجاج لا يستساغ ولا ينتفع به.. قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٦٩) ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٠) الواقعة الآيات من ٦٨ - ٧٠.

ولقد قيل في الحكم: إن الماء أعز مفقود وأرخص موجود وأول شراب أهل الجنة وأول أمانى أهل النار.. فإذا فقد الماء ضاعت الحياة وإذا وجد الماء كان رخيصة يسرف فيه الإنسان، وأول أنهار الجنة نهر الماء العذب السلسيل قال تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ

وَأَشْرَبْنَ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ  
خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ محمد الآية ١٥ ،  
ويستغيث أهل النار بأهل الجنة قائلين: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ  
الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ الأعراف الآية ٥٠ .  
فيرد عليهم أهل الجنة قائلين: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى  
الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾

الأعراف الآية ٥٠ .





## رزق الله

قال الله تعالى ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١٩) ﴿ الْمُؤْمِنُونَ الْآيَةُ ١٩ .

يمن الله علينا بأثار رحمته التي تعقب نزول المطر: قاله وحده هو الذى ينبت بالماء الزرع، ولا يملك الإنسان من أمر إخراج النبتة ونموها وثمرها شيئاً ذا بال..

إن الإنسان يضع البذرة فى الأرض ويهيل عليها التراب، ولا يدرى ما يحدث لها ولا كيف تعمق جذورها وتمتد سيقانها وتمتلئ غصونها وأزهارها؟!!

قال الله تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴾ (٢٤) ﴿ أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا ﴾ (٢٥) ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ (٢٦) ﴿ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ﴾ (٢٧) ﴿ وَعَبْنَا وَقَضَّيْنَاهَا ﴾ (٢٨) ﴿ وَزَيَّنَّاها وَنَخْلًا ﴾ (٢٩) ﴿ وَحَدَّيْنَاهَا عُلْبًا ﴾ (٣٠) ﴿ وَفَكَهْنًا وَأَبًّا ﴾ (٣١) ﴿ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِ لَكُمْ ﴾ (٣٢) ﴿ عِبَسَ الْآيَةُ ٢٤ - ٣٢ .

إن الله خلق ورزق، وأحيا ودير، ومنح وأجزل العطاء، فإنشاء الزروع والثمار، وإخراج النبات كان من أجل الإنسان الذى كرمه الله ومنحه أمانة قيادة الحياة بمنهج الله..

وعددت الآية الكريمة مظاهر الإبداع النباتي ، من جنات أى حدائق ذات بهجة تسر الناظرين ، وتتعدد الحدائق بتعدد الثمار من نخيل وأعناب وفواكه كثيرة ، يتخذها الإنسان مسرة للنظر وبهجة للصدر وغذاء للبدن ومنافع متعددة فى الأخشاب وما يترتب عليها من صناعات مفيدة..

وقد اهتم القرآن المجيد كثيرا بلفت الانظار إلى هذه النعمة ، وجعل إحياء الأرض بالنبات بعد القحط والجذب دليلا على قدرة الله على إحياء الموتى من قبورهم..

قال تعالى ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ الحج الآيات ٥ ، ٦ .

وقال جل شأنه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ فصلت الآية ٣٩ .





## الشجرة المباركة

**قال** الله تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِلَّذِينَ كَلِمَ ۝۲۰ ﴾ المؤمنون الآية ٢٠ .

تخص الآية الكريمة هنا نوعا خاصا من النبات، فتنوه بشأنه وتذكر فضله، إنه الزيتون الذي ينبت في طور سيناء، فهو مبارك في نفسه، مبارك في موطنه..

لقد كرم الله الزيتون فأقسم به فقال ﴿ وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝۱ ﴾ التين الآية ١ ، وأقسم بمكانه فقال ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝۲ ﴾ التين الآية ٢ ، وسماه شجرة مباركة وضرب به مثلا لنوره فقال ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝۳۵ ﴾ النور الآية ٣٥ .

وحظيت سيناء بشرف في القرآن، وأطلق عليها البيان القرآني تعبيرات منها الجبل فقال ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ۝۱۴۳ ﴾ الأعراف الآية ١٤٣ ، والوادي المقدس ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ

الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿ طه الآية ١٢ ، وطور سيناء فقال ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ  
مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴿ المؤمنون الآية ٢٠ ، وطور سينين فقال ﴿ وَطُورِ  
سِينِينَ ﴿ التين الآية ٢ ، والطور فقال ﴿ وَالطُّورِ ﴿ ١ ﴾ وَكَتَبَ  
مَسْطُورِ ﴿ ٢ ﴾ الطور الآيات ١ ، ٢ .

وشجرة الزيتون المباركة ينتفع بها فى الدهان والمأكـل ، فتتخذ دهنا  
وإداما ، وجاءت أحاديث شريفة بفضلها ، فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده  
أن رسول الله ﷺ قال «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» .  
وقد أثبت الطب الحديث فوائد كثيرة للزيتون ، إذا استخدمه الإنسان  
مع شرب العسل وأكله فقد نص القرآن على فوائده فقال ﴿ وَأَوْحَى  
رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ ٦٨ ﴾ ثُمَّ  
كُلِي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ  
مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ٦٩ ﴾  
النحل الآيات من ٦٨ ، ٦٩ .

وأضاف إليهما الحبة السوداء التى هى حبة البركة التى امتدحها  
رسول الله ﷺ فقال «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من  
السام» . والسام الموت رواه البخارى  
ومتى استصبح الإنسان على الجمع بين هذه المباركات الثلاث-  
الزيتون والعسل والحبة السوداء- امتن الله عليه بالشفاء من كثير من  
الأمراض ، وهى مجربة مؤكدة النفع بإذن الله..



## عبرة الأنعام

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّظْهِرُكُمْ بِهَا فِي بُطُونِهَا  
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ  
تَحْمَلُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ المؤمنون الآيات ٢١ ، ٢٢ .

نقف الآن مع نعمة الأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم  
وسائر الحيوان، وموطن العبرة هو اللبن والمنافع والمآكل وحمل  
الأثقال..

فألبن نعمة، وهو غذاء كامل، وقدرة الله في إخراجه عجيبة، قال  
تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّظْهِرُكُمْ بِهَا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ  
وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (٢٦) النحل الآية ٦٦، فسبحانه  
الخالق العظيم، تأكل الأنعام من كل الأرض، فيتحول الغذاء الواحد إلى  
دم ولبن وبول وروث، لا يشوب أحدها الآخر، ويسر الله لكل سبيله  
الخاص لا يخالط غيره..

ويتخذ الإنسان من الأنعام ريشها ووبرها وصوفها وشعرها وجلدها  
وأظفارها، ويقيم عليها صناعات مفيدة.. قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ  
مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا

يَوْمَ ظَعَنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا  
أَتْنَأُ وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ النحل الآية ٨٠.

وينتفع الإنسان بمآكل الأنعام التي أحلها الله بعد تذكيتها، ويركب  
الإنسان الأنعام زينة، وسفرا وقتالا، وتحمل أثقال الإنسان وتذهب به  
مسافات بعيدة وأسقارا شتى..

قال تعالى ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ  
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ  
﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ  
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا  
وَزِينَةً وَمَخْلُقٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ النحل الآيات ٥ : ٨.

إن تذييل الأنعام للإنسان نعمة كبرى فعلى رغم ضخامة الحيوان فإن  
الطفل الصغير يقوده ويسوسه..

وقد انطلق الإنسان من تيسير الله له ركوب الأنعام إلى ركوب  
البحار والمحيطات بفضل صناعة السفن، وركوب الفضاء بفضل صناعة  
الطائرات، وقد نبه القرآن المجيد إلى ذلك وغيره فقال ﴿وَالْخَيْلَ  
وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَمَخْلُقٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾  
النحل الآية ٨.

## فكر قوم نوح عليه السلام

- رسالة نوح عليه السلام
- موقف أكابر المجرمين
- اتهام باطل
- دعاء نوح عليه السلام
- سفينة نوح عليه السلام
- أدب النصر
- دروس في قصة نوح



بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَدْعُو إِلَىٰ جَنَّةٍ فَتَرْتَبِّصُوا بِهِ ۖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿ المؤمنون الآيات من ٢٣ - ٣٠ .

## رسالة نوح عليه السلام

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣) ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْآيَةُ ٢٣﴾

تتحدث الآية الكريمة عن بعثة نوح عليه السلام، فقد أرسله الله إلى قومه.. وفي التعبير القرآني «إلى قومه» ما يدل على أن نوحا عليه السلام لم يكن صاحب رسالة عالمية لا في الزمان ولا في المكان..

أما أنه ليس عالمي الرسالة زمانا فقد تعاقبت الرسالات بعده وتوالى الرسل حتى ختموا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة العالمية زمانا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وأما أنه ليس عالمي الرسالة مكانا، فإن خطاب نوح لقومه يدل على خصوصيتهم بهذا النداء وبهذه الرسالة، وقد تكرر ذلك في القرآن كثيرا، قال تعالى في سورة يونس ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِثَانِتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (٧١)، وقال سبحانه في سورة هود ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٥) ﴿الآيَةُ ٢٥﴾ وقال جل شأنه في سورة نوح ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (١) ﴿الآيَةُ ١﴾ فلم يتحقق عموم الرسالة زمانا

زمانا ومكانا إلا لسيدنا محمد ﷺ ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف الآية ١٥٨ .

وكانت الدعوة التي وجهها نوح إلى قومه هي عبادة الله وحده وترك  
عبادة الأصنام التي اتخذوها أندادا لله عز وجل ، وقد تحدثت سورة نوح  
عن هذه الآلهة المزعومة فقالت ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا  
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ﴿٢٣﴾ نوح الآية ٢٣ .

وكانت هذه الأصنام في بدء أمرها تماثيل لرجال صالحين ، أقامها  
الناس تخليدا لذكراهم . فلما تقادم العهد وتطاول الزمن عبدت من  
دون الله ، وبعث الله سيدنا نوحا يدعو إلى التوحيد الخالص وإفراد الله  
بالعبادة والتخلي عن هذه المعبودات الزائفة التي لا تملك من أمر نفسها  
شيئا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا.. فالله وحده هو الخالق المدبر المستحق  
وحده للعبادة..

وتعجب نوح من ضمور تفكيرهم وسخافة عقولهم وسوء صنيعهم ،  
وتساءل معهم : أفلا تتقون؟ أى : أفلا تخافون ربكم المنعم ذا الجلال  
والإكرام؟ ! ألا تجعلون لأنفسكم وقاية من الهوان والصغار والذلة؟ !  
ألا تستقيمون على الجادة وتضعون الأمور فى نصابها وتعرفون  
جلال الله وكماله؟ ! .



## موقف أكابر المجرمين

قال الله تعالى ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

فى كل جماعة من البشر أكابر مجرمون يقودون الأمة إلى المهالك، ويرفضون دعوة الحق والإصلاح، ويقيمون على العادة الجاهلية والتقليد البالى، وينتحلون الأكاذيب حول الدعاة ويلفقون التهم للأبرياء..

لقد رفض المستكبرون دعوة شيخ الأنبياء نوح عليه السلام بدعوى أن النبوة لا تكون لبشر، والعجب منهم كيف رفضوا النبوة فى البشر ورفضوا الألوهية للحجر، لقد عكفوا على أصنام لهم اتخذوها آلهة دون الله يعبدونها ويقدمون لها القرابين..

وظن هؤلاء المستكبرون أن نوحا عليه السلام أتى برسالته يريد السلطة وينتزع الحكم منهم شهوة، ويقاسمهم المناصب والمغانم كبرياء وغرورا..

ولم يفهموا حقيقة النبوة وأنها اصطفاء الله لمن يشاء من عباده من أجل إصلاح البشر وبناء المجتمع والهداية للحق والانتصار للفضيلة والدعوة إلى الخير..

وزعموا أن النبوة في البشر شيء لم يسبق، ولم يعهد في تاريخ  
الإنسانية، وقالوا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي  
آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢١) المؤمنون الآية ٢٤.

وكذبوا على أنفسهم وشوهوا التاريخ وظلموا الحقيقة، فجميع الأنبياء  
بشر، اصطفاهم الله وصنعهم على عينه وجعلهم الإنسان الكامل..  
ولم يعهد أن بعث الله ملكا رسولا، لأن الملك له خصائص تختلف  
عن خصائص البشر، ولا يقدر الناس على التعامل مع الملك في صورته  
الملائكية، ولكي يمكن التعامل فلا بد من تشكل الملك بصورة البشر،  
وهنا يعود التساؤل ويتكرر الاستفهام: هل هو ملك أو بشر..

ولهذا قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ  
رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (٩) الآية ٩.

إن بشرية الرسل تأكيد لحسن القدوة وقرب المثل الأعلى، ودعوة إلى  
التقارب بين الراعي والرعية، والتآخي بين الحاكم والمحكوم على الحق  
وفي الحق وللحق..



## اتهام باطل

قال الله تعالى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ المؤمنون الآية ٢٥.

يواصل الملأ المستكبرون من قوم نوح عليه السلام الاتهامات الباطلة فيصفون نوحا بالجنون ويزعمون أن به مسا من الجن جعله يخلط الأمور ويتبوأ موقف القيادة لقومه ويدعو إلى الزعامة لنفسه.. وتنادوا بينهم أن حتفه قريب؛ وأن الموت يلاحقه بعد قليل، فمرضه عضال وأجله قد حان، وما عليهم إلا الصبر مدة يسيرة حتى يستريحوا منه..

والعجب أن هذه التهمة بالجنون لأنبياء الله تناقلها المستكبرون في كل أمة من البشر، قالها فرعون لموسى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ الشعراء الآية ٢٧.

وقالها مشركو مكة لمحمد ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الحجر الآية ٦.

وهكذا مع كل نبى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَالِحٌ أَوْ بَاحٍ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أنوآصوآ به بل هم قوم طآغون ٥٣ الذاريات الآيات ٥٢، ٥٣.



وكيف يكون نوح عليه السلام مجنوناً أو به جنّة وهو الذى جادلهم وألزمهم  
الحجة وساق لهم البرهان وقدم لهم الدليل ووضح لهم الحق ، وبين لهم  
الفضيلة ودعاهم إلى كل خير..

وقد صدر القرآن هذه الدعوة فى أكثر من سورة فقال فى سورة الأعراف  
﴿ قَالَ يَتَقَوِّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّا اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾  
أَوْعِبْتُمْ أَن جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا  
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الآيات ٦١ - ٦٣ ، وفى سورة نوح تحدثت الآيات  
عن أساليب الدعوة وألوان الحجة وأنواع الدليل فقال جل شأنه ﴿ قَالَ  
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي  
كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا إِذِ انبَغَذْتُهُمْ وَابْتَغَوْا ثِيَابَهُمْ  
وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ  
إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ  
غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ بَنِينَ وَيَجْعَلْ  
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ  
أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ الآيات من ٥ - ١٤ ، لكن القوم لم يستجيبوا للدليل  
ورفضوا منطق العقل وانتظروا صاعقة أو عذاباً يستأصلهم واعترفوا لنوح  
بقوة الحجة ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا  
تَعِدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هود الآية ٣٢.

## دعاء نوح

**قال** الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ المؤمنون الآية ٢٦.

مارس نوح عليه السلام أساليب الدعوة واستنفذ كل وسائلها في مواجهة المستكبرين من قومه، وجادلهم وألزمهم الحجة، لكنهم نكسوا على رءوسهم واستهزأوا به قائلين: ائتنا بما تعدنا.. فلم يجد نوح بداً من دعاء يلجأ به إلى الله عز وجل أن ينقذه من مؤامرات قومه ودسائسهم وبهتانهم، وأن يهيئ للمؤمنين فرصة الحياة الآمنة المطمئنة كي يعبدوا الله بلا خوف، ويبنوا الحياة بأمل، ويعيشوا بمنهج الله..

﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ المؤمنون الآية ٢٦.  
وفي آية أخرى: ﴿ قَدْ عَارَيْتُهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴾ ﴿١٠﴾ القمر الآية ١٠.

لقد مضت سنة الله أن ينتصر لرسله ويؤيد دعوتهم وينشر الدين الصحيح، لكن بالجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، والبأساء والشدة، والابتلاء والتمحيص..  
وليست قضية الإيمان مغنما مادياً للمؤمنين، أو شهوة سلطة توفر لأصحابها الأرائك والمآكل والمشارب..

إنها قضية الصدق والصدقين، إنها قضية الجهاد والمجاهدين،  
 إنها قضية البأساء والشهداء.. لكي يميز الله الخبيث من الطيب،  
 وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، وليعلم الله الذين صدقوا  
 ويعلم الكاذبين..

وقد عبر القرآن عن ذلك بلفظ الزلزلة فقال ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا  
 الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ  
 وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ نَصْرَ  
 اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ البقرة الآية ٢١٤.

كما عبر بلفظ الاستيناس وهو استبطاء النصر فقال ﴿ حَتَّى إِذَا  
 اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ  
 نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ يوسف الآية ١١٠،  
 وعبر أيضا بلفظ الفتنة فقال ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا  
 وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝١ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
 صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ ۝٢﴾ العنكبوت الآيات ٢، ٣، إن نوحا  
 عليه السلام وصل إلى هذه المرحلة بعد أن عاش للدعوة ألف سنة إلا خمسين  
 عاما وأيقن أن القوم متأصلون في الإجرام والكفر وأن البيئة فاسدة تطحن  
 كل خير وتند كل فضيلة وتقاوم كل حق.. ولذلك دعا عليهم فقال نوح  
 ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا  
 عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ الآيات ٢٦، ٢٧.



## سفينة نوح عليه السلام

**قال** الله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٢٧) المؤمنون الآية ٢٧.

استجاب الله دعاء نوح عليه السلام، وأوحى إليه أن يبدأ الطريق للنجاة من عذاب الاستئصال الذي حق على قومه.. فعلم الله نوحاً صناعة السفن، وياشر نوح هذه الصناعة بعناية الله ورعايته.

وسبق القضاء الإلهي على قوم نوح أن يعمهم الطوفان، فتنفجر الأرض من تحتهم ماء، وتنسكب السماء مطراً، ويلتقي الماءان على هلاك هؤلاء الظالمين..

وجعل الله لنوح علامة لساعة التنفيذ، وهي أن يفور التنور، بمعنى أن الأرض تنفجر عيوناً حتى يخرج الماء من مكان النار، فالتنور هو المكان المشتعل الذي يطهى فيه..

وعندئذ يحمل نوح في السفينة الكائنات الحية ذكراً وأنثى، ويحمل المؤمنين بدعوته لأن الطوفان لن يبقى ولن يذر، وسيترك الأرض جرداء قاحلة، وسيهلك الحرث والنسل..

وكان هناك تنبيه إلهي لنوح عليه السلام ألا يشفق على الظالمين المستكبرين ،  
وألا تأخذه رأفة عليهم ساعة هلاكهم ، وأن يفض الطرف عن زوجته  
وولده اللذين رفضا دعوة الحق وآثرا الكفر وانضما إلى حزب الشيطان ..  
ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن صناعة السفن بدأت بنوح عليه السلام كما  
بدأت صناعة الدروع بداود عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ  
لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٨٠) الأنبياء  
الآية ٨٠.

وهذا يؤكد أن الصناعات بدأت بوحي إلهي ثم تواصل فيها الجهد  
الإنساني وتطورت ومازالت في تطور ..  
ونلاحظ أيضا أن النسب إلى الأنبياء ليس بذي جدوى في غيبة الإيمان  
وصدق اليقين ووفاء العهد ، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في قوله « من بطلاً  
به عمله لم يسرع به نسبه » .



## أدب النصر

**قال** الله تعالى ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ۝ الْمُؤْمِنُونَ الْآيَةُ ٢٨ - ٢٩ .

علم الله نوحا ~~الجنة~~ آداب ركوب السفينة، وآداب استقبال النصر، وآداب الشكر على النعمة..

وقد امتثل نوح ~~عليه السلام~~ لهذا التعليم فقال لمن آمن معه - كما في سورة هود: ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا وَمُرْسِنَهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ ۝ هود الآية ٤١ .

ولما بدأت السفينة تمخر عباب الماء، وتسير فوق الطوفان، وتسلك سبيل النجاة فوق القمم العوالى قال نوح: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ ۝ . لكن إذا كانت البداية باسم الله، وكانت المسيرة قائمة على الحمد لله فإلى أين المصير؟! .

من هنا قال نوح: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ۝ . إن المستقبل فى رحم الغيب، ولم تكن هناك خطة بشرية لكيفية استئناف الحياة بعد الطوفان، ولهذا علم الوحي الإلهى نوحا ~~الجنة~~ أن



يلجأ إلى الله وحده كي تعمر الحياة ويستقر المؤمنون ويمارسوا دورهم في البناء والحضارة.

وقد استجاب الله هذا الدعاء فقال كما في سورة هود ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨) الآية ٤٨.

لقد حل السلام وعمت البركة على المؤمنين، وبدأوا مسيرة الحياة الطاهرة، لكن جرت السنة التي فطر الله الناس عليها أن تحصل تحولات فكرية وتغيرات عقدية ويتناول العهد على الناس فينحرف البعض ويجادل في الله بغير علم ولا سلطان مبين.. وستظل سنة المدافعة قائمة بين المؤمنين والكافرين، أمم تعلو وأمم تسفل، ومجتمعات تنهض ومجتمعات تتخلف، وفكر ينتشر وفكر يندثر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ البقرة ٢٥١. وتكون العاقبة دائما هي النصر للمؤمنين الصادقين.. قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) الروم ٤٧.



## دروس فى قصة نوح

**قال** الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ المؤمنون الآية ٣٠.

الآيات هنا بمعنى الدلائل الواضحات، والحكم البالغات التى ينتفع بها العقلاء وتتوارثها الأجيال عبرة على مدى التاريخ..  
ومن خلال القصص القرآنى لنوح عليه السلام ودعوته تنجلي الحقائق التالية:

أولاً: إن دعوة نوح قامت على التوحيد الخالص لله عز وجل، شأنه فى ذلك شأن جميع الرسل..

وتلك قضية فطرية تتأصل فى العقل والقلب، فالكون والكائنات أثر من آثار قدرة الله وعلمه وحكمته، ومن المنطق أن يعبد الخالق وأن يقدر العالم الحكيم، وأن يخلص الإنسان قلبه وقالبه لذى الجلال والإكرام.  
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ المؤمنون الآية ٢٣.

ثانياً: إن كبراء الفساد فى كل مجتمع يرفضون دعوة الحق ويأبون التخلي عن مفاسدهم ويتعقبون المصلحين بالتهم الباطلة ودعاوى الزور والبهتان.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ  
يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي  
آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٤) ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدْعَىٰ جِنَّةً فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَقٌّ  
حِينَ ﴾ (٢٥) ﴿ الْمُؤْمِنُونَ الْآيَاتِ ٢٤، ٢٥.

ثالثا: إن المصلحين دعاة الحق يصبرون ويصابرون ويتحملون البأساء  
والشدة ويواصلون الليل بالنهار لا يسأمون من الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر، لقد مكث نوح عليه السلام في قومه داعيا ألف سنة إلا خمسين عاما..  
رابعا: إن الولاء لله والصدق في الدعوة إلى الله يجعل المصلحين محل  
العناية الإلهية والتأييد الإلهي..  
«قال رب انصرني بما كذبون».

خامسا: إن نصر الله للمؤمنين وعد إلهي لا يتخلف، وله ميقات  
إلهي لا يخضع لمقاييس البشر الذين يتعجلون الأمور ويستبطنون  
النهاية ولهذا جاء في سورة هود الآيات ٣٢، ٣٣ ﴿ قَالُوا يَنْشُوحُ قَدْ  
جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ  
﴿ ٣٢ ﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٣٣) ﴿

سادسا: إن التمكين للمؤمنين في الأرض يعني بركة الحياة، تلك  
البركة التي هي سر السعادة التي يحظى بها المتقون الأخيار، فيعيشون  
بلا عقد ويحيون بلا قلق، ويبنون الحياة بلا بغى ولا حسد..

قال تعالى في سورة هود الآية ٤٨: ﴿ قِيلَ يَنْشُوحُ أَهِيْطْ بِسَلَامٍ مِنَّا  
وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمِّرٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾.



## فكر قوم هود عليه السلام

• رسالة قوم هود عليه السلام

• موقف الملائكة المستكبرين

• شبهة المنكرين للبعث

• خلاصة موقف الملائكة

• نصر الله

• تواصل الأجيال البشرية

• تتابع الرسل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ  
 أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ  
 قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا  
 هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ  
 ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ  
 أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَٰئِهِاتِ  
 هَٰئِهِاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا  
 وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا  
 وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾  
 قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ  
 فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ  
 بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ  
 ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

المؤمنون الآيات من ٣١ - ٤٤.

## رسالة قوم هود عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ المؤمنون الآيات ٣١، ٣٢.

هذه هي القصة الثانية في سورة المؤمنون - بعد قصة نوح عليه السلام ..  
والقرن هو الأمة من الناس، وليس مراداً به ما تعارفنا عليه وهو الفترة الزمنية التي هي مائة سنة..

وهذه الأمة هي قوم هود عليه السلام في رأى أكثر أهل العلم، لقوله تعالى على لسان هود في سورة الأعراف ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ الآية ٦٩، ولمجىء قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الأعراف وفي سورة هود وفي سورة الشعراء..

وقد بعث الله تعالى نبيه هوداً عليه السلام إلى قبيلة عاد بالأحقاف في منطقة حضرموت، وكانوا يعبدون الأصنام، ويتخذون آلهة يصنعونها بأيديهم، ولم يشكروا نعمة الله التي أسبغها عليهم في قوة عسكرية، ورخاء اقتصادي، وحضارة عمرانية، قال تعالى في سورة الشعراء على لسان هود عليه السلام ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَانْقَبُوا



اللَّهُ وَأَطِيعُوا ۝ (١٣١) وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ  
وَبَيْنَ ۝ (١٣٣) وَحَنَنْتِ وَعُيُونِ ۝ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
۝ (١٣٥) ﴿الآيات من ١٢٨ - ١٣٥﴾

لقد جاءهم نبي الله هود من أنفسهم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته،  
فأرشدهم إلى عقيدة التوحيد الخالص لله عز وجل، ووجههم إلى حسن  
استخدام القوة، وحذرهم مغبة الانحراف العقدي والسلوكي، وذكرهم  
بقوة الله وبأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين..  
إن الناس في غيبة الوحي الإلهي تحكمهم شريعة الغاب، فيتربص  
بعضهم ببعض، وتستعر فيهم الشهوة، ويفسدون في الأرض..  
ولا عاصم لهم إلا دين الله وشرعه الذي بعث به الرسل وجاهد  
عليه الأنبياء، وتحمله المصلحون من بعدهم في كل زمان ومكان،  
نورا وأمنا ورخاء..



## موقف الملأ المستكبرين

**قال** الله تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ  
الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ  
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ  
إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

تواصل سورة المؤمنون عرض قصة هود عليه السلام ، لقد وقف زعماء  
الفتنة الذين كفروا بالله وأنكروا البعث والنشور ، وانغمسوا في الشهوة  
الآثمة ، وطغت على عقولهم المادة الوضيعة - وقف هؤلاء يرفضون دعوة  
الإصلاح ، ويتمسكون بالعبادات والتقاليد البالية ، ويرهبون ضعفاء  
الامة ، ويقدمون لهم حججا واهية..

إنهم يقولون لرعاياهم : «ما هذا إلا بشر مثلكم ، يأكل مما تأكلون منه  
ويشرب مما تشربون» لقد رفضوا نبوة هود لأنه بشر..

والعجب منهم أنهم قبلوا الألوهية للحجر ، فاتخذوا الأصنام  
والأوثان آلهة تعبد ، وقدموا لها القرابين ، وضحوا بكرامة الإنسان أمام  
الحجارة الصماء..

أى منطق هذا؟!

هل يريدون نبيا ملكا؟! فكيف- إذا- يلتقى حوله الناس.  
ويستشعرون قربه وأنسه، ويتخذون منه القدوة والمثل الأعلى؟.

إن هودا عليه السلام لم يكن بدعا من الأمر، فما بعث الله نبيا إلا من البشر،  
قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ ﴾ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ  
الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ الأنبياء الآيات ٧، ٨.

وإن رفض نبوة هود لبشريته دعوى كاذبة وحجة داحضة قيلت من  
قبل ومن بعد، قيلت لنوح عليه السلام: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ  
عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

وقيلت لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ: ﴿ مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ  
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۚ ﴾ الفرقان الآية ٧، وإن الذين ردوها  
لم يكونوا من العقلاء ولا الحكماء، وإنما ردها السفهاء المستكبرون،  
الذين يريدون استمرار هيمنتهم على الأمة، وبقاء استعبادهم للبشر،  
فهم ملأ من القوم أي جماعة متسلطة عليهم تزين لهم القبيح وتقودهم  
إلى الهاوية..





## شبهة المنكرين للبعث

**قال** الله تعالى ﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ (٣٥) ﴿ هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ (٣٦) ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧) ﴿ المؤمنون الآيات من ٣٥ - ٣٧ .

تعرض الآيات موقف الملائكة المستكبرين من قوم هود عليه السلام، لقد أنكروا البعث، واستبعدوا الجزاء والحساب بعد أن يكونوا ترابا وعظاما نخرة..

فلفظ «هيها» يقال للبعيد المنال، العسير الحصول، ويقرأ بالفتح والكسر، منونا وغير منون.. ثم زادوا في الكفر، وأكدوا استحالة البعث فقصروا حياة الإنسان على الوجود والعدم، وجعلوا قصة البشرية تنتهى عند حافة القبر..

فقولهم ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ يعنى ما هي إلا بطون تدفع وأرض تبلع، يموت البعض ويعيش البعض، هكذا بلا مسئولية ولا حساب ولا جزاء..

والواو فى قوله ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ليست للترتيب، وإلا كانوا مقرين بالبعث بعد الموت، فلا يعنى قولهم ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أنهم

يحيون بعد الموت، وإنما مقصودهم يموت البعض ويحيا البعض، أو يحصل لهم موت وحياة ويجتمع عليهم الصفتان دون أن يريدوا حياة بعد الموت.

ويلاحظ أن صدر قصة هود في هذه السورة الكريمة كان خطابا من الملائكة المستكبرين للمستضعفين من قومهم كقولهم ﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٢٦)، وقولهم ﴿أَبَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾، ثم كان ختام القصة حديثا عن الملائكة أنفسهم فقالوا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٧) وقالوا ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨).

ولهذا التنوع في الأسلوب حكمة، ذلك أنهم حاولوا في البدء استمالة المستضعفين، وخداعهم ثم منحوا أنفسهم حق الحديث عنهم وتقرير عقيدة المجتمع فقالوا ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨) وهذا شأن الجبارين في الأرض، ولقد قالها فرعون من بعد ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٢٩) سورة غافر الآية ٢٩.

وقضية البعث واضحة الدلالة، ظاهرة البرهان، ساطعة الحجة، فالذي خلق قادر على أن يعيد، بل الإعادة أهون في نظر العقل، والذي أبدع الكواكب العظام والجبال الشامخات وأودع في الكون أسراراً وآيات— أقدر على أن يعيد ذلك الكائن الضعيف وأن يبعث الإنسان من قبره ليحاسبه على ما قدمت يداه..

## خلاصة موقف الملأ

**قال** الله تعالى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨) المؤمنون الآية ٣٨.

لقد رفض الملأ المستكبرون من قوم هود أن يؤمنوا بالرسالة لبشر منهم، وطعنوا في عقيدة البعث، وذهبوا إلى استحالة عودة البدن الإنساني بعد أن يصير ترابا وعظاما، وأخيرا قذفوا نبيهم هودا عليه السلام بالكذب على الله..

وهذا موطن التناقض، وموضع العجب.. هل هم حقا يؤمنون بالله؟! لو كانوا مؤمنين بالله وقدرته وجلاله وكماله ما عبدوا أصناما واتخذوها آلهة..

هل هم حقا حريصون على تحرى الصدق والتزام الأمانة في القول والعمل؟!..

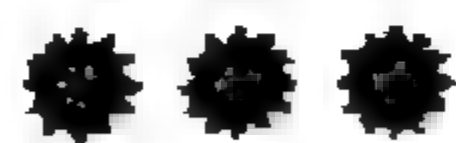
لو كانوا كذلك ما استبعدوا البعث وأنكروا الحساب والجزاء، فإن هذا الإنكار هو الكذب بعينه، والبهتان بذاته والضلال بأجمعه..

هل هم حقا يأنفون أن يخضع قومهم لنبي من البشر؟ لو كان يعنيهم عز قومهم ما تسلطوا عليهم وأرهبوهم فكريا وعقديا وبدنيا..



لقد تحدث القرآن المجيد عن علاقة الإرهاب هذه في سور قرآنية كثيرة، منها ما جاء في سورة سبأ ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُمْ أَدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الآيات من ٣١ - ٣٣.

وهكذا اجتمع قوم هود كبراً واهم وضعفاً وهم - على تكذيبه، واصل هود النصيحة والترغيب والترهيب، وتقديم الأدلة وحسن البيان. فلم يكثرثوا بدعوته واستخفوا برسائته وأصروا إصراراً.. وعبر القرآن المجيد عن ذلك في سورة الشعراء فقال على لسانهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ الآيات من ١٣٦ - ١٣٨.



## نصر الله

**قال** الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝٤٠ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمُ غُشَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤١ ﴾ المؤمنون الآيات من ٣٩ - ٤١ .

نأتى إلى خاتمة قصة هود عليه السلام فى سورة المؤمنون ، لقد ينس هود من إيمان قومه ، واستنفذ معهم كافة وسائل النصيح والإرشاد ، وظلوا على عدائهم واستهزائهم بالدعوة والداعى ، بالرسالة والرسول .. فتوجه هود عليه السلام إلى ربه ضارعا : ﴿ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ ﴾ أى انصرنى على قومى وأنزل سخطك بهم وبأسك عليهم لأنهم كذبوا وعاندوا ..

فهذا دعاء بتحقيق الوعد والوعيد ، الوعد بالنصر والتمكين لدعوة الحق ودعائه ، والوعيد بالهزيمة والهلاك للباطل وأهله ، كما قال تعالى فى سورة الصافات ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنْ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣ ﴾ الآيات من ١٧١ - ١٧٣ . وكان الجواب الإلهى حاسما وسريعا : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝٤٠ ﴾ المؤمنون الآية ٤٠ .

وندمهم في هذه اللحظة لا يجدى فتىلا، فإن لحظة العذاب والهلاك ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي ءِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام الآية ١٥٨.

ووقع الحق وبطل الباطل، فجاءتهم الصيحة، عذاب استئصال حل بالقوم عدلا إلهيا، لا ظلم فيه، وحتما مقضيا لا دفع له، فأصبحوا غثاء كغثاء السيل، مما يعلوه من الزبد (الرغوة) يذهب ولا يبقى له أثر..

والصيحة المذكورة هنا فسرتها آيات في القرآن المجيد كقوله تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ الحاقة الآيات من ٦ - ٨.

والريح الصرصر هي الريح الباردة، لها صوت شديد مزعج.. وهكذا تحقق وعد الله ووعيده، وتلك سنة جارية لا تتخلف، «فبعدا للقوم الظالمين» أى هلاكا وسوء عاقبة..

فالظلم ظلمات، وأفحش الظلم الكفر والشرك والاستهزاء بآيات الله ورسله..

وإن عدل الله يلاحق هؤلاء الظالمين وإن طال بهم الأمد، حتى إذا أخذهم وأدركهم كانوا سلفا ومثلا للآخرين..

قال تعالى في سورة السجدة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية ٢٢.



## تواصل الأجيال البشرية

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ (١٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿ (١٣) ﴾ المؤمنون الآيات من ٤٢ ، ٤٣ .

القصص القرآني يقدم فنونا عدة في أساليب العرض، وحكاية الوقائع، وتتابع الأحداث..

فتارة يفصل وأخرى يجمع، وتارة يستقصي وأخرى يتخير، وفي سورة يبرز جانبا وفي أخرى يؤكد جانبا آخر.. كل ذلك حسب السياق الموضوعي للسورة، والهدف المراد منها، والغاية المنشودة.. قال جل شأنه ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠) هود الآية ١٢٠ .

وسورة المؤمنون ساقط بعض القصص بما يتناسب مع حكمة السورة في بيان موقف الأمم من دعوة الرسل، وعدل الله في ملاحقة المكذابين، فقدمت قصة نوح وقصة هود عليهما السلام، ثم طوت بعض المراحل، فجاءت على سبيل الإجمال في قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ (١٢) ﴿ المؤمنون الآية ٤٢ ، ثم عادت فذكرت قصة موسى وعيسى عليهما السلام، ثم ختمت بقصة محمد ﷺ ..

والقرون هي الأجيال البشرية التي أنشأها الله وخلقها، ومنحها الوقت والحياة لتواصل مسيرة الوجود الإنساني في عمارة الكون بمنهج الله..

ولقد حدد الله لكل أمة أجلا، كما حدد لكل فرد عمرا، فإذا كان الإنسان الفرد يولد ويكبر ويشيب، فإن الأمم كذلك تولد وتزدهر وتضمحل.. وتعد هذه الإشارة القرآنية مدخلا مهما لعلم الاجتماع، وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته أن للدولة أجلا تنتهي عنده، تمر خلاله بثلاثة أجيال:

جيل يبني ويؤسس، وجيل يحافظ، وثالث ينغمس في الترف وينسى الحماية والمدافعة..

وهكذا تتوالى أجيال البشر في تعاقب مستمر، لا تتقدم أمة أجلها وتستأخر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..



## تتابع الرسل

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ المؤمنون الآية ٤٤.

شملت عناية الله الإنسان خلقا وهداية، فقد خلق الله الإنسان خلائف، يخلف بعضهم بعضا، وتتعاقب الأجيال زمنا بعد زمن..

وفى كل جيل، وفى كل زمن تتابعت رسالات الله عز وجل، تنير الطريق للسالكين، وتضىء المعالم الواضحة للسائرين، وتحدد ملامح المنهج القويم لعمارة الكون وعبادة رب العالمين وكلمة «تتري» على وزن فعلى، كدعوى وتقوى، وتأؤها بدل من الواو، فإنها مأخوذة من الوتر، وأصلها وتري، وهى من المواترة بمعنى المتابعة..

ومع تتابع الرسل ووضوح المنهج وسلامة الهدف ونبل الغاية فإن الناس فى أزمان كثيرة لم يستجيبوا الاستجابة المحمودة، ولم يستوعبوا عبرة التاريخ فكذبوا الرسل واختلقوا الأقاويل حول الرسالة والرسول، فحققت عليهم اللعنة وشملهم الهلاك وصاروا خيرا بعد عين، وعبرة لأولى الألباب، وأصبحت أحوالهم وأحداث حياتهم مما يتلهى بها الناس، ويتندر بها فى المجالس..



فقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ له معنيان:

الأول: أحاديث جمع حديث، بمعنى أن القوم المكذبين اندثروا وبادوا ولم يبق لهم أثر إلا أحاديث تروى عما كانوا عليه وما آلوا إليه..

الثاني: أحاديث جمع أحداث، بمعنى أن القوم المكذبين تحولوا إلى مادة استهزاء وسخر لمن بعدهم، صاروا أحداثاً أى أعجوبة وأضحوكه.. وإذا كان ذلك عاجل عقابهم في الدنيا فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى..

وقوله تعالى ﴿فَبَعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١١ معناه أن الهلاك ملازم لهم في الدنيا والآخرة فالإنسان لا تنتهي حياته بالقبر، بل ينتقل إلى مرحلة أخرى للحساب الأكبر والجزاء الأبدى..

والناس فريقان: شقي وسعيد، فريق في الجنة وفريق في السعير..



## فكر بنى إسرائيل

• رسالة موسى عليه السلام

• أخلاق قوم فرعون

• شبهة قوم فرعون

• عاقبة فرعون وقومه

• توراة موسى عليه السلام

• آية عيسى عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾  
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا  
أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا  
مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ  
﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ  
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ الْمُؤْمِنُونَ الْآيَاتِ مِنْ ٢٥ - ٥٠ .



## رسالة موسى عليه السلام

قال **مُبِينٌ** ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ  
لِلْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾ الْمُؤْمِنُونَ آيَةٌ ٤٥.

تواصل سورة المؤمنون عرض قصص الأنبياء بما يؤكد عبرة التاريخ  
في ملاحقة العدل الإلهي للمكذابين للحق..

لقد أرسل الله موسى وبعث معه أخاه هارون، يشد أزره ويشاركه  
الدعوة، لأنه كان أفصح نسانا باللغة المصرية القديمة، فإن موسى عليه السلام  
قد انتقل من مصر، وعاش دهرا في سيناء، والتقى بالشيخ الكبير  
هناك، وتزوج ابنته ومكث عشر حجج، فنسى الكثير من أساليب اللغة  
المصرية القديمة، ولم يعد ماهرا في النطق بها لتوقف استخدامه لها  
خلال هذه المدة..

ولقد أدرك موسى هذه الحقيقة فدعا ربه ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي  
﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾  
وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ طه الآيات ٢٥ - ٣٠.

فَعُقْدَةُ اللِّسَانِ عند موسى هي توقفه عن استخدام اللغة المصرية  
القديمة مدة عشر سنين، هي مدة مقامه بسيناء..

وهذه الحقيقة بعينها هي ما أشار إليه موسى عليه السلام في قوله ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣١) القصص الآية ٣٤.

ففصاحة هارون هي سلامة نطقه باللغة المصرية القديمة لتواصل تعاملها بها..

لقد بعث الله موسى وهارون بالآيات والسلطان المبين، والمراد بها دلائل الحق وشواهد الصدق التي قدمها موسى لفرعون وقومه خلال مدة الدعوة..

لقد جاءهم موسى عليه السلام بالآية الكبرى وهي انقلاب العصا حية بأمر الله تعالى حتى صارت تلقف ما ألقاه السحرة وتأكله أكلا، وأخرج لهم موسى يده السوداء من جيبه بيضاء من غير سوء، تشع نورا.. فلما رفضوا الاستجابة لداعي الحق قدم لهم نذرا، فأصابهم الجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الأموال والثمرات، فما زالوا مترددين في قبول الحق..

وأقام معهم موسى أكثر من حوار، وقدم لهم أكثر من دليل، لكن فرعون وملأه جحدا ودعوة الحق وأفسدوا في الأرض.. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ (٥٦) طه الآية ٥٦.



## أخلاق قوم فرعون

**قال** الله تعالى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (١٦) ﴿المؤمنون الآية ٤٦﴾.

إن عقدة العقد التي تصيب النفس الإنسانية هي الاستكبار والترف.. فالاستكبار والأنفة مرض خطير يمنع من قبول الحق والرضا به، ويدفع إلى التمرد والإفساد في الأرض..

ولهذا قال النبي ﷺ في صحيح الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟! فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس..

والترف آفة خبيثة تدفع إلى إهدار النعمة ونسيان المنعم والعبث بالقيم، ولهذا كان الوصف الأول لأصحاب الشمال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (١٥) ﴿الواقعة الآية ٤٥﴾.

وكان أول تقريع للكافرين ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْيَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠) ﴿الأحقاف الآية ٢٠﴾.



إن فرعون وملأه جمعوا الخستين، الاستكبار والترف، لقد كان فرعون ذا أوتاد، له قوة وبطش وجبروت، وكان يعيش في جنات وعيون، قال تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۚ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۚ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۚ ﴿١٢﴾ ﴾ الفجر الآيات من ١٠ - ١٢ .  
 وقال جل شأنه ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۚ قَالَ يَبْقَرُمِ النَّاسُ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف الآية ٥١ .

إن الطاغية المستبد يزداد طغيانا ببطانة السوء، وباستكانة الأمة.. فبطانة السوء تزين القبيح، وتخدع في النصيحة، واستكانة الأمة تغري بالاستبداد وتسوق الطاغية إلى مزيد من قبائح الفعال والسلوك.. قال تعالى ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ۖ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۚ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزخرف الآية ٥٤ .

وقد بين رسول الله ﷺ أهمية البطانة لولى الأمر فقال - كما في صحيح البخارى - «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله».



## شبهة قوم فرعون

قال الله تعالى ﴿ فَقَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً ﴾ المؤمنون الآية ٤٧.

قال

تسوق هذه الآية الكريمة شبهة قوم فرعون، التي خدعوا بها أنفسهم حين رفضوا دعوة الحق التي جاءهم بها موسى وهارون عليهما السلام..

وهي شبهة ذات شقين:

( أ ) أنؤمن لبشرين مثلنا.

( ب ) وقومهما لنا عابدون.

وهذه الشبهة بعينها تريد لشبهة الكاذبين من قبل، فقد قالها قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، ورددها بعدهم مشركو العرب على عهد سيدنا محمد ﷺ قال تعالى حكاية عن هؤلاء جميعا:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ التغابن الآية ٦.

لقد أراد فرعون صرف قومه عن الإيمان بدعوى بشرية موسى وأن قومه أذلاء، ليس لهم مكانة اجتماعية..

وعجيب أمر فرعون، لقد ادعى لنفسه الألوهية والربوبية، وأذاق قومه البأساء والمهانة، وسلك بهم مسالك الهلكة وأحلهم دار البوار..  
قال تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ القصص الآية ٣٨.

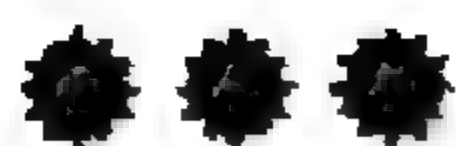
وقال جل شأنه ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ ﴾  
النازعات الآيات ٢٣ ، ٢٤.

إن الله اصطفى موسى وهارون، واختارهما لحمل أمانة التبليغ وأيدهما بالمعجزات الباهرة ونصرهما النصر المبين..

وموسى <sup>عليه السلام</sup> واحد من أولى العزم من الرسل الذين جاهدوا في الله حق جهاده وهم خمسة، محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

وقد خصهم الله تعالى بالذكر في موضع التكريم والاصطفاء فقال ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ﴿٧﴾ الأحزاب الآية ٧.

وقال جل شأنه ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾  
الأحقاف الآية ٣٥.





## عاقبة فرعون وقومه

قال الله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ (٤٨) المؤمنون الآية ٤٨.

تحدث الآية الكريمة عن عاقبة فرعون وقومه الذين رفضوا الاستجابة لنداء الحق، وصمموا آذانهم عن دعوة الخير، وأغلقوا عقولهم وقلوبهم حتى لا يروا نور الآيات الباهرات التي قدمها موسى وهارون دلالة على صدق الرسالة..

وهلاك قوم فرعون فصلته مواضع عدة في القرآن المجيد، لقد أمر الله تعالى موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر، ويعبر بهم البحر إلى سيناء بعد أن يشير إلى البحر بعصاه فينحسر الماء على الجانبين، ويبرز بينهما طريق ممهدة يمضي فوقها بنو إسرائيل بلا خوف ولا فزع.. وبلغ الخبر فرعون فاتبعهم بجنوده بغيا وعدوا، حتى تراءى الجمعان، وظن أصحاب موسى أنهم مدركون، فطمأنهم موسى عليه السلام بأن الله منجز له ما وعد، وناصرهم على عدوهم..

ووقف فرعون مشدوها، يرى المعجزة التي حدثت من انغلاق البحر وتوقف الماء عن الجريان.. وسولت له نفسه أنه يستطيع أن ينتفع بهذا

الطريق الذى شقته يد القدرة الإلهية المبدعة، ونسى أنها المعجزة لموسى  
والدمار لفرعون وجنوده..

ونزل فرعون بجنوده البحر فغشيهم من اليم ما غشيهم، وأحدقت بهم  
الأمواج وطوتهم ظلمات البحر..

وفى هذه اللحظة أدرك فرعون خطأ معتقده وضلال تفكيره فتعالى  
صوته ﴿ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩٠) يونس الآية ٩٠.

ولكن هيهات، فقد مضى الوقت وانتهى الإمهال، وتحقق الوعيد  
﴿ ءَاَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩١) يونس  
الآية ٩١، وشاء الله أن يلفظ البحر جثة فرعون لتكون عبرة للأولين  
والآخرين..

وإذا كان المصريون القدماء يحفظون موتاهم فقد يكون لهذا الفرعون  
نصيب من هذا التحنيط ليظل البدن شاهدا على فسق صاحبه وضلاله،  
وناطقا بذله وهوانه، مؤكدا عدل الله فى عقابه وسنته فى ملاحقة أعدائه..  
قال تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ  
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَغْفُلُونَ ﴾ (٩٢) يونس الآية ٩٢.



## توراة موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٤٩) المؤمنون الآية ٤٩.

انفرد موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد أن انقذهم من بطش فرعون وجبروته، فكانوا في حاجة إلى قانون يسوسهم، وإلى دستور ينظم حياتهم ويبني مجتمعهم الجديد..

ف تلقى موسى التوراة فيها الهدى والنور لبني إسرائيل، وكان هذا التلقى بعد هلاك فرعون كما صرح به قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٣) القصص الآية ٤٣.

وتتضمن التوراة- كما أنزلها الله في صفائها الأول- أحكاما تشريعية مختلفة تتعلق بالعبادات والمعاملات.. قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣) وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٨٤) البقرة الآيات ٨٣، ٨٤.



وكانت أحكام التوراة في مجملها شديدة، تعالج قسوة بنى إسرائيل وتمردهم، فحرمت أشياء عليهم من باب التأديب والعقاب قال تعالى ﴿فَيُظْلَمُ مَنْ أَلَّزِمَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ ﴿١٦١﴾﴾ النساء الآيات ١٦٠، ١٦١.

وقد سجل القرآن موقفين لبنى إسرائيل:

الموقف الأول هو القبول للحق والإنذعان للوحي فأورثهم الله الأرض وبدلهم من بعد خوف أمانا.. قال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۖ ﴿١٣٧﴾﴾ الأعراف الآية ١٣٧.

والموقف الثانى هو التحريف والتبديل للوحي والتمرد على الرسل، وقد وصفهم القرآن بما يليق بحالهم هذه فقال ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ ﴿٥﴾﴾ الجمعة الآية ٥.

ومنذ تلك اللحظة لازمتهم اللعنة الإلهية وأحاطت بهم الذلة والمسكنة.. قال تعالى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ۖ ﴿٦١﴾﴾ البقرة الآية ٦١.

## آية عيسى عليه السلام

**قال** الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٥٠ ﴾ المؤمنون الآية ٥٠.

هذه الآية الكريمة أجملت قصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام، فقد جعلها الله دلالة قاهرة تظهر قدرة الله الباهرة..

لقد حملت مريم البتول بعيسى دون أن يمسها بشر، ولما جاءها الملك الأمين ليبشرها بهذه الكرامة الكبرى، دار حوار بينهما سجله القرآن المجيد في مثل قوله تعالى ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠ ﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢١ ﴾ مريم الآيات ٢٠ ، ٢١.

لقد استحق عيسى عليه السلام أن ينفرد بأنه كلمة الله، لأنه نشأ بكلمة الله التكوينية مباشرة دون أسباب ومسببات..

والملاحظ في البيان القرآني أنه ينسب دائما إلى أمه مريم، وهي المرأة الوحيدة التي صرح القرآن باسمها، وذلك ليقطع تأويلات الخراصين وانحرافات الأفاكين، فعيسى عبد الله ورسوله، بشر كالبشر، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، اصطفاه الله في مولده ونشأته ورسالته،

فهو عبد مصطفى، وبشر رسول، وإنسان تحمل أمانة البلاغ عن الله كما تحمله أنبياء الله ورسله في كل زمان ومكان.

قال تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥)

المائدة الآية ٧٥.

ثم ذكرت الآية الكريمة لونا آخر من تكريم الله لهذا الوليد المبارك وأمه البتول فقال تعالى ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠)

المؤمنون الآية ٥٠.

والربوة هي الأرض المرتفعة، ومعنى ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠) أن فيها أسباب الإقامة والاستقرار من الثمار والماء، فهي أرض تنبت من كل زوج بهيج ويجرى فيها الماء المعين الذي تعينه العين ويسهل الانتفاع به..

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الأرض المباركة هي أرض مصر المحروسة، حين لجأت إليها مريم حاملة وليدها خشية بطش اليهود الذين يفسدون في الأرض ويتعقبون المصلحين.





## قانون الصراع الفكري

- نداء إلهي عام
- أمة واحدة
- اختلاف الأمم
- استدراج
- خشية المؤمنين
- الإيمان بآيات الله
- الإخلاص
- الإيمان بالرجعى إلى الله
- السابقون السابقون
- فضل الله وعدله
- غمرة القلوب
- منقلب الكافرين
- أسباب العذاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيْحَسِبُونَ أَنَّ مَا نُعَذِّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِثَابِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١ وَلَا تَكِلْهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ٦٣ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ٦٤ لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُرِّمْنَا لَا تَنْصُرُونَ ٦٥ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ٦٧﴾ ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْآيَاتِ مِنْ ٥١ - ٦٧﴾

## نداء إلهى عام

قال الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا  
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ المؤمنون الآية ٥١.

هذا نداء من الله تعالى لكل نبي في زمانه بأن يلتزم الأكل من الحلال  
الصافى وأن يستقيم على المنهج الإلهى استقامة كاملة..  
فقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هو دعوة إلى الكسب الحلال  
الذى لا يعرف ربا أو ريبة، ولا يشتمل على غش أو خديعة، ولا يظلم  
الناس أموالهم..

فإذا تحقق الكسب الحلال وجب أن يتبعه الإنفاق المأمور به بلا إسراف أو  
تقتير، ومن غير مَنْ ولا أذى. وبلا نسيان للمنعمة المتفضل سبحانه وتعالى..  
فالمال الطيب إنما يتحقق بالحلال فى المورد، والبر فى المصرف، فإن  
اختل جانب لم يعد المال طيبا، فالذى لا يحرص على الحلال فى جمع  
المال يكون ماله خبيثا، والذى يكثر المال أو ينفقه فى معصية يخسر  
ما جمع، ويشقى بما حصل، ويكوى به فى نار جهنم..

وقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ هو دعوة إلى الالتزام بشرع الله  
ودينه فى كافة شئون الحياة، ويكون العمل صالحا إذا وافق الشرع  
وتحقق فيه الإخلاص..



فلابتداع في الدين جريمة، قال عليه الصلاة والسلام.. «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

والرياء محيط للعمل، مضيع للثواب، والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم..

وهذه الدعوة إلى طهارة المال وإصلاح الأعمال هي دعوة الله إلى جميع المؤمنين، لأن الأنبياء هم القدوة والمثل الأعلى.. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) البقرة الآية ١٧٢.

وجاء قوله تعالى ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) تنبيها على تحقيق كمال المراقبة لله وتمام الإخلاص له سبحانه فالله تعالى لا تخفى عليه خافية، يعلم السر والنجوى..



## أمة واحدة

قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ المؤمنون الآية ٥٢.

تحدث هذه الآية الكريمة عن الدين الحق الذى تنادى به الفطرة، ويدعو إليه العقل، ونزل به الوحي الأمين على أنبياء الله ورسله فى كل زمان ومكان..

إنه توحيد الله فى ربوبيته وألوهيته، والاستعداد للحساب والجزاء ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ آل عمران الآية ٣٠. وهذا المعنى هو المشار إليه فى قول رسول الله ﷺ «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد».

والإخوة لعلات هم أولا الرجل من نسوة شتى. إن الرسالات الإلهية التقت كلها على أصول العقيدة والعبادة والأخلاق، ويعبر عن ذلك ميثاق بنى إسرائيل - على سبيل المثال - فقد قال الله تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ البقرة الآية ٨٣.

وما وراء ذلك من تفصيلات الأحكام فى العبادة والمعاملة ، فتلك قضية تخضع لظروف الزمان والمكان ، فما يصلح لأمة قد لا يتناسب مع أمة أخرى ، بل ما يصلح لأمة فى زمن قد لا يستمر لزمن آخر..  
والحكمة واضحة فى نسخ الشرائع بعضها لبعض ، فإن الطبيب -  
ولله المثل الأعلى - قد يصف دواء لمريض ولا يصفه لمريض آخر يتشابه معه فى المرض ، وقد يصف دواء لمريض فى وقت دون آخر ، ولمدة لا يتجاوزها..

فالله تعالى له الخلق والأمر ، وهو أعلم بعباده ، وله الحكمة البالغة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١١) الملك الآية ١٤ .  
فرسالات الله تمثل أطوار مناهج التربية الإلهية لبنى الإنسان ، فيها الثوابت من أصول الدين ، والمتغيرات من أحكام التشريع..





## اختلاف الأمم

قال الله تعالى ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥٣) المؤمنون الآية ٥٣.

الأصل في البشرية أنها بدأت مؤمنة موحدة، على الفطرة النقية التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) الروم الآية ٣٠.

والفطرة على المستوى الجمعي تعنى أن البشرية جمعاء بدأت عقيدتها بالتوحيد الخالص لله تعالى انطلاقاً من أولية آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض طاهراً مجتنبى ونبياً رسولاً..

والفطرة على المستوى الفردى تعنى قبول الإنسان للحق وإيمانه بالله وبقينه بأن للكون خالقاً مبدعاً حكيماً لا شريك له، طالما كان الفرد سليماً من آفات التقليد والهوى.

وفى ذلك يقول النبي ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة عرضاء هل تحسون فيها من جدعاء؟».

لكن الناس فى أزمان كثيرة وأماكن متعددة انحرف بهم العقل واستحوذ  
عليهم الشيطان فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، أى اختلفوا اختلافات شتى،  
وذهبوا مذاهب بدعة وضلال: وتفرقوا إلى أديان باطلة..

فالزبر والزبور هو القطع والأجزاء كما فى قوله تعالى ﴿أَتُونِي زُبَرَ  
الْحَدِيدِ﴾ الكهف الآية ٩٦، أى قطع الحديد.. والمراد بالزبر فى آية  
سورة المؤمنون الأحزاب والفرق..

وأصبح كل حزب فرحا بما لديه، يظن أنه على الحق، ويتهم غيره  
بالباطل دون وعى وتمحيص..

وظلت الأمور مشتبهة، يحكمها التقليد الأعمى والإرث الفاسد  
والعادة البالية وتحير الناس حتى جاء الإسلام ودعا إلى يقظة الفكر  
وعودة الوعى ونقاء الدين.

وفى صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام «إن الله نظر إلى أهل  
الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب».



## استدراج

**قال** الله تعالى ﴿ قَدْ زُهِرَ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ ﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُثَبِّهُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ ﴿ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ ٥٦ ﴾ المؤمنون الآيات من ٥٤ - ٥٦.

هذه الآيات تهز العقول والقلوب هذا، يدفع إلى عودة الوعي ويقتله الضمير..

إن هؤلاء المنحرفين عن المنهج الإلهي القويم غمرتهم الجهالة العمياء، كما يغمر الماء ويغطي الأشياء أثناء الطوفان الجارف، فعقول هؤلاء قد عميت فلم تعد تبصر حقا أو تدرك نورا..

لقد خدعوا بما منحهم الله من مال وبنين، وسلطان وبسطة حياة، وظنوا جهلا أن هذه النعم تكريم إلهي لهم، وتناسوا أن الله يمنح الدنيا لمن يحب ومن لا يحب وأن الله يقبض ويبسط على مقتضى الحكمة الإلهية وليس على مقتضى المحبة الدينية. فهم لا يشعرون بهذه الحقيقة، وتستهوهم متع الحياة إلى حين..

ذلك الحين قد يكون مرضا مقعدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو زوالا للنعمة محزنا، أو عقابا عاجلا..



والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وهو سبحانه يُمهّل ولا يهمل، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ٢ ﴿الطلاق الآية ٣.

وقد أكد القرآن المجيد هذا المعنى كثيرا، فقال ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ ٥٩ ﴿الكهف الآية ٥٩، وقال ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤١ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥ ﴿القلم الآيات ٤٤ ، ٤٥.

وإذا كانت هذه الآيات تحذيرا للكافرين المجرمين فأولى بالمؤمنين أن يكونوا على حذر، ولا تخدعهم النعمة، فيطغيهم المال ويفسدهم الجاه، وما كانت الدنيا لتدوم لأحد، فإما أن يفارقها وإما أن تفارقه.. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام- كما رواه الترمذي-: بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هروما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

فالحياة فرص يغتنمها الإنسان في عمل الخير وخير العمل..



## خشية المؤمنين

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧)

تحدد الآيات هنا أوصاف المؤمنين المسارعين إلى الخيرات، وجعلت في مفتتحها الخشية من الله تعالى.. وقد جاء التعبير القرآني في هذه الآية بالإشفاق من خشية الرب سبحانه وتعالى، وقد قال الإمام الرازي في تفسيره:

والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف، فمنهم من قال: جمع بينهما للتأكيد، ومنهم من حمل الخشية على العذاب، والمعنى: الذين هم من عذاب ربهم مشفقون، ومنهم من حمل الإشفاق على أثره، وهو الدوام على الطاعة، والمعنى الذين هم من خشية ربهم دائمون في طاعته، جادون في مرضاته..

ويرى الرازي في تحقيق المسألة أن من بلغ في الخشية إلى حد الإشفاق وهو كمال الخشية كان في نهاية الخوف من سخط الله عاجلا ومن عقابه أجلا، فكان في نهاية الاحتراز عن المعاصي..

وهكذا فالمؤمن الذي يحرص على السعادة في الدنيا والآخرة لابد أن يكون على خشية من ربه، ولعل التعبير بالرب يوحى بسبب الخشية،

فالرب هو المنعم المتفضل ، الذى بيده ملكوت كل شىء ، ومقاليد الأمور كله ، فما لم يخش الإنسان ربه فقد عرض النعم للزوال وتعرض هو للعقاب.. فإن الله يقبض ويبسط، ويمنح ويمنع، ويعز ويذل، ويحيى ويميت مع القدرة المطلقة والسلطان الأعظم والملك الأتم الأكمل، فهو سبحانه أحق بالرهبة والرغبة، وأجدر أن يعبد فلا يكفر، ويشكر فلا يجحد..

قال تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران الآيات ٢٦ : ٢٧ .

وإن غاية المؤمن ومنتهى أمله هو الفردوس الأعلى ، والأمر ليس أمانى مجردة ولا آمالا معسولة . وإنما الأمر عمل وجهد وجتاهد ، قال عليه الصلاة والسلام - كما رواه الترمذى - : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله هي الجنة . ومعنى « أدلج » سار من أول الليل ، والمراد التبكير فى الطاعة والجد فى أدائها والحرص عليها .





## الإيمان بآيات الله

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٨) ﴿المؤمنون﴾ الآية ٥٨.

هذه هي الصفة الثانية للمؤمنين المسارعين في الخيرات، وهي الإيمان بآيات الله، وآيات الله نوعان: آيات كونية وآيات قرآنية.

فالآيات الكونية هي الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والبر والبحر، وكافة الظواهر الطبيعية ومظاهر الكون، فهي أثر من آثار قدرة الله عز وجل، تسوق التأمل فيها إلى حقيقة التوحيد الخالص لله رب العالمين..

قال تعالى ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) ﴿فصلت﴾ الآية ٥٣.

والآيات القرآنية هي الوحي الإلهي المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ بالهدى والنور، يبنى الحياة المثلى، ويصوغ الإنسان الكامل، ويمنح سعادة الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) ﴿الشورى﴾ الآية ٥٢.

والنص القرآني يجمع بين النوعين من الآيات، فالعلاقة بينهما وثيقة، فإن رب الكون هو الذي أنزل القرآن، فالقرآن كون مقروء، والكون قرآن منظور..

وتأمل معي هذا النص القرآني الحكيم ﴿رَحْمَ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ الجاثية الآيات من ١ - ٦.

بالله عليك ما المراد بآيات الله المتلوة هنا؟ إنها الكون المقروء أو القرآن المنظور، وإن من أدرك روائع الصنعة آمن بقدرة الصانع، وإن من أدرك بلاغة التنزيل وإعجاز القرآن آمن أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين..

فالمسلم المسارع إلى الخيرات على وعي كامل بآيات الله الكونية والقرآنية، ويرتبط قلبه وعقله بنواميس الكون ومناهج الوحي، ويواصل مسيرة حياته في نور العقل مع الشرع..



## الإخلاص

**قال** الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ (١) المؤمنون الآية ٥٩. هذه هي الصفة الثالثة للمسارعين في الخيرات.. فإذا تحقق للمسلم خشية الله في السر والعلن، وامتلاً قلبه وعقله بالإيمان بآيات الله الكونية والقرآنية فقد ارتقت روحه وسمت نفسه فأصبح مخلصاً، أخلص لله فأخلصه الله واصطفاه..

فعدم الشرك بالله مراد به هنا الإخلاص..

والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك. ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.. وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» وقد رد الله تعالى أشكال العبادة بلا إخلاص وأحبط أعمال المرائين، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله..

وقد تتحقق للمسلم النية الصالحة ويقعد به العمل فيبلغ درجة العاملين، وفي حديث رواه مسلم عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله



الأنصاري قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: إن بالمدينة لرجالا،  
ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، حبسهم المرض.  
وفي رواية: إلا شاركوكم في الأجر.  
وفي رواية للبخاري عن أنس قال: رجعنا من غزوة تبوك مع  
النبي ﷺ فقال: إن أقواما خَلَقْنَا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا  
وهم معنا، حبسهم العذر..  
فما أعظم فضل الله وما أكرم مثوبته.



## الإيمان بالرجعى إلى الله

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٦٠) المؤمنون الآية ٦٠.

هذه هى الصفة الرابعة من صفات المؤمنين المسارعين فى الخيرات، إنهم ملتزمون بمنهج الله، يواصلون العمل ويجتهدون فى العبادة، ولا يفرطون فى مثقال ذرة من الخير، وهم مع ذلك وجلون، يخافون التقصير ويخشون التفريط.. لأن عقيدتهم فى اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء تجعلهم أكثر إتقانا للعمل، وأحسن أداء له..

فإن الناس إذا أيقنوا بالحساب بعد الموت، وبالجزاء بعد الحساب، وبالجنة والنار- عاشوا فى هذه الحياة الدنيا عبادا لله إخوانا، ونعموا بهدوء الضمير وسكينة النفس، وعمهم الأمن والرخاء..

وإذا فقدوا تلك العقيدة انقلب المجتمع إلى نئاب، وتربص الكل بالكل، وشقى الجميع، وساد الظلم وعم الظلام..

لقد اهتم الأنبياء جميعا بقضية اليوم الآخر وواجهوا بها أقوامهم منذ اللحظة الأولى للدعوة..

لقد نزل آدم إلى الأرض محملا هذه الوصية وملتزما بهذه القضية، قال الله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ

تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿البقرة الآيات ٣٨ ، ٣٩ .

وحذر نوح قومه مغيبة الكفر باليوم الآخر، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٣٩﴾﴾ هود الآيات ٢٥ ، ٢٦ .

وفى الوادى المقدس بسيناء تلقى موسى رسالة ربه وتكاليف الدعوة وأسس الدين، قال تعالى ﴿وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ طه الآيات ١٣ - ١٦ .  
وهكذا كانت دعوة كل نبي..





## السابقون السابقون

**قال** الله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾  
المؤمنون الآية ٦١.

إن المؤمنين الصادقين يسارعون في الخيرات، ويسمعون جاهدين للقيام بطاعة الله والالتزام بمنهج الوحي الإلهي..  
فهم يؤدون العبادة- كما شرعت- بلا ابتداع في أشكالها، ولا نقصان في هيئاتها، ولا خروج عن حدودها.. ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد كما أخبر بذلك الرسول الأمين ﷺ ..

وقد جاءت أوصاف لهؤلاء المسارعين في الخيرات في آيات كثيرة من القرآن العظيم.. قال الله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ آل عمران الآيات من ١٣٣ - ١٣٦.

فقد جمعت هذه الصفات أصول الدين ومكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وذلك بذكر ثلاث صفات هي أساس الخير كله:

أولها: الإنفاق في السراء والضراء، ومتى تخلص المرء من سيطرة المال على قلبه سلم ونجا وارتقى فالشح هو الفساد بأجمعه، وحب الدنيا رأس كل خطيئة..

وثانيها: كظم الغيظ والعفو عن الناس، وتلك هي قمة الأخلاق الإنسانية.

وثالثها: الاستغفار وملاحقة الانحراف السلوكي وتلك هي غاية العبادة ومنتهى مقاصدها فالصلاة نور والصوم جنة والحج جهاد لا شوكه فيه..

فهؤلاء المسارعون في الخيرات سابقون إلى الجنات، تغمرهم رحمة الله في الدنيا والآخرة وتكنوهم عناية الله في كل وقت، ويحل عليهم السلام والرضوان في كل حين..



## فضل الله وعدله

قال الله تعالى ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٢) ﴿المؤمنون الآية ٦٢﴾

هذه الآية الكريمة توضح عدل الله في حكمه، ولطفه في تكليفه وحسابه..

إن دين الله يسر، وإن شرع الله مرتبط بالوسع، لا يخرج عن نطاق الجهد الإنساني المعتاد..

وهذا هو ما أكدته القرآن كثيرا، ففي سورة البقرة قال تعالى ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة الآية ٢٣٣، وقال جل شأنه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة الآية ٢٨٦.

وفي سورة الأنعام قال تعالى ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الأنعام الآية ١٥٢، وكذلك في سورة الأعراف وجاء التعبير عن هذا المعنى بأساليب أخرى، مثل قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة الآية ١٨٥، وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج الآية ٧٨.

فالصلاة تكون من قيام أو جلوس أو على أي هيئة استطاعها المسلم.. والصيام على المقيم السليم فإن سافر أو مرض فعدة من أيام أخرى..



وأنحج لمن استطاع إليه سبيلاً..

والوضوء والغسل يكون بالماء فإن لم يتيسر كان التيمم بديلاً..  
والإنفاق بقدر الاستطاعة.. قال تعالى ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ  
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا﴾  
الطلاق الآية ٧.

والجهاد بالنفس والمال فريضة على القادرين أما غيرهم فقد  
استثناهم الله بقوله ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى  
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى  
الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١) التوبة الآية ٩١.  
وقيام الليل أدب إسلامي يحرص عليه الأتقياء لكن ذوي الأعذار  
لهم حكم خاص.. قال تعالى ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ  
وَمَا يَتَّبِعْ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِيمٌ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي  
الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ  
وَمَا يَتَّبِعْ مِنْهُ﴾ المزمع الآية ٢٠.

واقترضت حكمة الله أن يخفف التكليف ويمنح التيسير لعباده،  
وأن يحاسبهم بموازين العدل وأن يسجل أعمالهم في كتاب لا يغادر  
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيتلقاه الإنسان يوم الحساب إما  
بيمينه أو بشماله..

## غمرة القلوب

**قال** الله تعالى ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ المؤمنون الآية ٦٣.

هذه الآية الكريمة لها تفسيران:

**الأول:** أن يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى المؤمنين المذكورين في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾، والمعنى أن هؤلاء السابقين إلى الخيرات يستولى عليهم فكر الجزاء، وتفكير الثواب والعقاب، ويتساءلون عقب كل خير يفعلونه، وأمام كل صالح يقدمونه: يا ترى هل يتقبل الله منهم؟ هل العمل خالص لوجه الله؟ هل ضوابط العمل وشروطه الشرعية قد تحققت على الوجه الأكمل؟ هذه التساؤلات تجعل قلوبهم في غمرة، أى في حيرة ووجل واشفاق، ومع ذلك تتواصل أعمالهم في البر والتقوى، ويمتد عطاء الخير على أيديهم وتظل جوارحهم مستقيمة على طاعة الله، وتتعلق قلوبهم بالملا الأعلى، وتسقئ جوانحهم بلألاء الجمال والكمال..

**الثانى:** أن يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى الكفار المذكورين في قوله ﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٢﴾ فذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ المؤمنون الآيات ٥٣، ٥٤.

والمعنى أن هؤلاء الكافرين الخارجين على وحدة الدين، غافلون عن شرف القرآن وفضل الرسالة ونور التشريع، قد غمرهم الجهل كما يغمر الماء ويستتر الأشياء عند فيضانه وكثرته..

لقد غمرهم الجهل وعمهم الظلام وأعماهم النى فأعرضوا واستمروا المعصية وأقاموا على الكفر، ولهم أعمال أخرى يواصلون بها الاعتداء على القيم ومحاربة الفضائل وإشاعة الفاحشة.. وسيلحقهم الجزاء الإلهي العادل فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل، قد جعل لمهلكهم موعدا لن يخلف.. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء الآية ٢٢٧).





## منقلب الكافرين

قال ٦١ الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ٦٥ لَا يَجْتَرُوا يَوْمَ الْيَوْمِ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥ ﴾ المؤمنون  
الآيات ٦٤ ، ٦٥ .

يظل الكافر والعاصي في غمرة الكفر والمعصية، يواصل اعتدائه على القيم، وتحريفه للفكر وانحرافه عن الفضائل، وتغره بسطة جسم، وينسيه فضل مال، فلا يعرف الخالق المبدع الحكيم ولا يتأدب بأدب الشرع الحنيف..

وفجأة تتبدل الأحوال، وفي لحظة هي أقرب من لمح البصر تتعالى صرخات هؤلاء، وتتوالى استغاثاتهم، ويملأ الدنيا ضجيج بكائهم..  
ولات ساعة مندم، لقد جاءهم العذاب من حيث لا يشعرون، قد يأتيهم في مآمنهم، وقد ينزل عليهم في ملهاهم، وقد يحل عليهم في مآكلهم ومشربهم، وقد ينزعهم من أحبابهم، وقد يخرجهم عن أموالهم وحصونهم وقد يهوى بهم من علياء قصورهم إلى مكان سحيق..  
وصدق الله حيث يقول ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ٦٥ ﴾ الأنعام الآية ٦٥ .

وصدق الله حيث يقول ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٩٧) ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩٨) ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٩٩) ﴿ الأعراف الآيات ٩٧ - ٩٩ .

إن الصراخ والعيول من هؤلاء المترفين لحظة وقوع العذاب- لا يفتني من الحق شيئاً، ولا يدفع عنهم بلاء، ولا يجلب لهم نصيراً، ولن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً..

إنهم لن ينتصروا من الله أبداً، فهو القوى القاهر، وهو الجبار المتكبر، وهو العزيز المتعال..

لقد كان الترف والغرور بالنعم هو السبب الغالب لانحراف الإنسان قديماً وحديثاً، فإن نعم الله يجب أن تستخدم في شكر المنعم ومنفعة الخلق..

قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ﴿ إبراهيم الآية ٧ .



## أسباب العذاب

قال الله تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المؤمنون  
الآيات من ٦٦ ، ٦٧ .

تبين هذه الآيات الكريمات الأسباب التي جعلت العذاب يحيق بالكافرين ، ويحل عليهم بلا نصرة أو شفاعة..

لقد جاءتهم آيات الله دلائل واضحة ومعجزات باهرة ، تحمل النور والهدى وتدعو للحق والخير ، لكنهم نكصوا على أعقابهم ، أى رجعوا إلى السوء ، والمراد أنهم تباعدوا عن الحق ونفروا منه ، وفروا فرارا شديدا ، فلم يستمعوا إليه استماع وعى وتفكر ، ولم يلتفتوا إليه التفات تأمل وتدبر..

وكان تراجعهم استكبارا عن متابعة الحق ، وأنفة من قبوله على أيدي المرسلين المصطفين الأخيار ، وقالوا - كما حكى القرآن كثيرا - : ﴿ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ هود الآية ٢٧ . قالوها لنوح عليه السلام ..



﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٣١)

الزخرف الآية ٣١، قالوها لمحمد ﷺ .

ولم يكتف هؤلاء بالنكوص والاستكبار بل اتخذوا آيات الله هزوا، وجعلوا من الوحي المنزل والرسول المصطفى مادة لسمرهم الفاحش.. فإن قوله تعالى ﴿ يَمْ ﴾ له تعلقان: الأول أن يتعلق بقوله ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ويعود الضمير على نكوصهم أى أنهم تراجعوا عن الحق مستكبرين بتراجعهم.

والثانى أن يتعلق بقوله ﴿ سَمِرًا ﴾ ويعود الضمير على الوحي والرسول أى سامرا بالوحي والرسول تهجرون، فقد أفحشوا القول باتخاذهم الوحي والرسول مادة لسمرهم واستهزائهم..

إن عذاب الله لهؤلاء الكافرين هو العدل المطلق، إنهم قوم لم يستشعروا نعمة الآيات وتراجعوا عن تأملها، واغلقوا منافذ الوعي لديهم، وغلبت عليهم حمية الجاهلية، فخسروا الدنيا والآخرة..



## الرسالة العامة الخالدة

### (أ) دلائل النبوة المحمدية

- شبهات المكذبين بالقرآن
- شبهات المكذبين بالرسول
- شرف الحق وفساد الهوى
- الحق المبرأ
- دعوة إلى الصراط المستقيم
- التماذى فى الطغيان
- الوقائع تتكلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾  
 أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ  
 جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ  
 الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ  
 بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾  
 أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾  
 وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا  
 بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ  
 بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا  
 عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون

الآيات من ٦٨ - ٧٧.



## شبهات المكذبين بالقرآن

**قال** الله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ **الْأَوَّلِينَ** ﴾ ﴿٦٨﴾ المؤمنون الآية ٦٨.

تتعقب هذه الآية شبهات المكذبين، وتدعوهم إلى الإنصاف في الحكم، والولاء للحق بعد أن سطعت أنواره وظهر الصبح لكل ذي عينين.. وقد استقصت هذه الآية وما تلاها كافة ما يمكن أن يحجب عقولهم عن الإيمان بالرسالة والرسول..

ولنبداً بآيتنا هذه ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾.

والمراد بالقول هنا القرآن المجيد، فهل تدبروا القرآن ثم وجدوا فيه مطعنا صرفهم عن الإيمان؟

إن القرآن مركب من حروف كلماتهم العربية، ومع ذلك عجزوا عن المعارضة وأقروا بسمو بلاغته وعلو فصاحته..

إن القرآن يتنزل فيهم ليل نهار، يبين لهم حقائق الوجود العليا، وعقائد الدين الصحيح، وفضائل الخلق العظيم، ومسالك البر والمعروف.. فلو تدبر هؤلاء المكذبون القرآن حق التدبر لسابقوا إلى الإيمان به ولسارعوا إلى الدفاع عنه، ولبذلوا النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمته..

ثم تعرض الآية لجانب ثان، هو: ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ  
الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨) ...

هل نزول الوحي على محمد ﷺ، واصطفاء الله له بدع من الأمر؟!  
إن النبوة كانت في مكة على عهد إسماعيل بن إبراهيم عليهما  
السلام، وكان هود وصالح نبيين كريمين لقبيلتي عاد وثمود، ويتجاور  
العرب مع اليهود أتباع موسى، والنصارى أتباع عيسى في اليمن ويثرب  
ويمرون عليهم في رحلة الشتاء والصيف.

وقد كان العرب يتمنون الرسالة والنبوة ويعلقون عليها هداية  
حياتهم فلما تحقق لهم ذلك عتوا عتوا كبيرا.. وجاء في أسباب النزول  
أن قريشا كانت تقول لو أن الله بعث نبيا، ما كانت أمة من الأمم أطوع  
لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكا بكتابها منا، فأنزل الله في  
سورة الأنعام، ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾  
الآية ١٥٧، وفي سورة فاطر ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ  
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا  
نُفُورًا﴾ (٤٢) الآية ٤٢، وفي سورة الصافات ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ﴾ (١٦٧)  
لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ  
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ الآية ١٦٧ - ١٧٠.



## شبهات الكذابين بالرسول

قال الله تعالى ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٦٩) ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ﴾ (٧٠)

المؤمنون الآيات من ٦٩ ، ٧٠ .

تواصل الآيات قطع أعذار الكذابين، وتحاصرهم من كل جانب، وتذكر هنا موقفين يتعلقان بالرسول كما ذكرت في الآية السابقة موقفين يتعلقان بالرسالة..

الموقف الأول هنا: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ فهل كان رسول الله غريباً عنهم، بعيداً عن ساحتهم، يجهلون نسبه وسلوكه وأخلاقه؟! كلا لقد لقبوه بالصادق الأمين، وعرفوا طهر نفسه وعفاف خلقه وشمايل صفاته، ومكث فيهم أربعين سنة قبل النبوة لم يجدوا فيه مطعناً..

قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) يونس الآية ١٦ .

الموقف الثاني: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾



إن رسول الله أعقل الناس وأحكمهم، ولقد ارتضوه حكماً بينهم حين  
اختلفوا في وضع الحجر الأسود عندما جددوا بناء الكعبة، فكيف  
يتهمونه اليوم بالجنون وينسبونه إلى التخليط؟!  
لقد جاءهم بما أعجز البلغاء، وفاق أحلام الفلاسفة، وشرع لهم ما فيه  
صلاح دينهم وحضارة دنياهم، وما يحقق لهم السعادة الكاملة..  
إن الحقيقة الغائبة عن هؤلاء وأمثالهم في كل عصر هي أن  
محمدًا ﷺ جاء بالحق وصدق المرسلين..

والحق قد يكون مرا ينفر منه ضعاف النفوس وصغار الأحلام  
وأصحاب السلوكيات المشينة والموروثات البالية والعقائد الزائفة..  
وجاء التعبير القرآني ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كِرْهُونَ﴾ (٧٠) ﴿دقيقاً  
بليغاً، فأكثرهم للحق كارهون، لكن البعض منهم قبل الحق وآثره على  
ماله وولده والناس أجمعين، فكان السابقون في الإسلام من وجهاء القوم  
وضعفائهم، ومن رجالهم ونسائهم على سواء..  
ورفض البعض الحق ليس كراهة له، ولكن خشية من بأس الناس  
أو ملامتهم مثل أبي طالب الذي ناصر ابن أخيه ودافع عنه وتحمل  
الكثير في سبيل حمايته ولكنه رفض أن ينطق بكلمة التوحيد عند موته  
خوفاً من مقالة الناس..



## شرف الحق وفساد الهوى

**قال** الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ المؤمنون الآية ٧١.

لقد جاء الرسول ﷺ بالحق في العقيدة والشريعة والأخلاق..

فكان التوحيد الخالص لله في مقابل الإلحاد والشرك، وكانت الشريعة السمحاء بديلا عن قانون الغاب، وكانت الأخلاق العظيمة محل الجاهلية الجهلاء.. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكمن الحق في الإلحاد لأنه إهدار لكرامة العقل وامتهان لشرف الوعي الإنساني، فكل ذرة في الكون تنادى أن لها خالقا مبدعا حكيما، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

ولا يعقل أن يكون الإله متعددا، فإن التعدد فساد للكون بأجمعه، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء الآية ٢٢.

وتتهاوى بعد ذلك عقائد الحلول والاتحاد، واللاهوت والناسوت، فما كان لبشر أن يتجاوز حده فيصبح إلها أو جزء إله، أو فيه خاصة من خصائص الإله، فالله تعالى واحد أحد، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ الشورى الآية ١١.

وإن العزوف عن شرائع الله ، وانتحال قوانين بشرية هو فساد عريض ، يجلب على الناس الحروب والدمار ، ويدفعهم إلى انتهاك الأعراض وتقطيع الأواصر ، وقيام الحياة على صراع المادة الذى يدمر كل شيء..

إن الإسلام هو الحق والشرف ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وليس بعد الشرف إلا الذل والهوان..

إن العالم اليوم يئن من الخواء العقدى والأخلاقى ، ويساق الناس إلى المصححات العقلية ، وتطحنهم الصراعات العرقية ، وتنقض عليهم أمراض الشذوذ والعلاقات الجنسية الآثمة..

وليس غير الإسلام دين أو قانون يحمى كرامة الإنسان ويصون حقوقه ويبنى شموخه العقلى ، ويؤسس طهارة يقينه..

فمتى تقف البشرية وقفة تأمل مع الذات وتتصالح مع الإسلام وتحتكم إلى شريعة الله؟!..





## الحق المبرأ

**قال** الله تعالى ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ (٧٢) المؤمنون الآية ٧٢.

قام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة، وتحمل أمانة الرسالة، ونادى بالإصلاح العام، ولم يكن يريد مغنماً ولا يسعى إلى سلطة، فهو ﷺ مبرأ من كل غرض مادي، منزّه عن كل هوى رخيص، وهو يبتغي وجه الله والدار الآخرة.. إن سيدنا محمدا لا يسأل الناس عطاء على نصيحته لهم ودعوته إياهم، وحرصه عليهم، فثواب الله خير، وعطاء الله أجزل، ورزق الله أوسع.. وهم مهما أعطوا فعطاؤهم قليل.. إنه مادي.. إنه فان.. إنه مقطوع.. أما عطاء الله فهو مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو عطاء متواصل غير مقطوع ولا ممنوع..

﴿ كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٥) البقرة الآية ٢٥.

وتحكي كتب السيرة أن قريشا عرضت على رسول الله ﷺ عرضاً سخياً لعله أن يكف عن دعوته، وأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة وكان سيداً منهم، فجاء إلى رسول الله وقال له:

يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا،  
جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا..

وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك..  
وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا..

وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا [ما يتراءى للإنسان من الجن] تراه،  
لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى  
نبرئك منه..

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول الكريم: فاستمع منى ثم قرأ  
عليه سورة فصلت فرجع الرجل إلى قومه وقال: إني سمعت قولاً، والله  
ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة..

يا معشر قريش اطيعونى واجعلوها لى: خلوا بين الرجل وبين ما هو  
فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ.

فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه  
ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به..



## دعوة إلى الصراط المستقيم

**قال** الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ ﴾ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿ ٧٤ ﴾ الْمُؤْمِنُونَ  
الآيات من ٧٣ - ٧٤.

قطع القرآن كل مسالك الشبهة عند المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ، وأكد أن هؤلاء المنكرين يتبعون أهواءهم التي تفسد ولا تصلح، وتهدم ولا تبني..

ثم جاء قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ ﴾ (٧٣) حجة على هؤلاء، وبياناً لرسالة سيدنا محمد ﷺ ..

فالإسلام هو الصراط المستقيم لا يعرف عوجاً ولا أمثاً، فهو الحق الواضح الجلي في العقيدة، وهو العدل والإحسان في التشريع، وهو الفضل والعظمة في الأخلاق، وهو النبل والصفاء في السلوك، وهو الخير والبر في الأعمال..

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) النحل الآيات ٨٩، ٩٠.



هذه هي دعوة الإسلام، فمن أنكرها تاه في بيداء الحياة، وتنازعته  
الأهواء، وعاش مشتت الفكر، ممزق الشعور، مهموما مخذولا..  
قال تعالى ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢٢)  
الإسراء الآية ٢٢.

فالمشرك متهم في عقله ولن يجد له من دون الله نصيرا..  
وقال جل شأنه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ  
وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
(٢٩) الزمر الآية ٢٩.

فالمشرك تتفرق به السبل، وينتابه القلق ويعتصر قلبه الهم والغم..  
أما المؤمن فهو مستجمع الفكر، مطمئن النفس، منشرح الصدر، واثق  
الخطى..

وانما وصف القرآن هنا المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ، المكذبين  
برسالة الإسلام بأنهم لا يؤمنون بالآخرة.. لأن الإيمان بالآخرة لا ينفك  
عن الإيمان بالله، فمن أيقن بجلال الله وكماله أيقن بقدرته سبحانه على  
البعث والحساب والجزاء..

فإذا جاء إنسان وأنكر الآخرة وما فيها فقد أنكر وجود الله وجحد  
ربوبيته وألوهيته..

فهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة منحرفون عن جادة الطريق،  
تتقاذفهم سبل شتى، ويقفون حيارى أمام طرق متعددة، لا تصل بهم  
إلى النجاة ولا تحقق لهم الهدف السامى من الحياة..

## التمادى فى الطغيان

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٥) المؤمنون الآية ٧٥.

اقتضت سنة الله تعالى أن يقف الحق أمام الباطل وجها لوجه فى مدافعة دائمة إلى يوم القيامة..

وكتب الله الغلبة لرسله وأوليائه، وحققت كلمة العذاب على الكافرين حالا أو مآلا..

ومكمن الخطر هو العناد الذى يسيطر على النفوس الكافرة، فلا يدع لها شعاع أمل، ولا يفتح عليها باب تأمل، ويتركها دائما فى غيبة عن الذات، وغفلة عن الحق، وبعد عن الوعي..

فهؤلاء المكذبون برسالة سيدنا محمد ﷺ قد لزمتهم الحجة وقام عليهم البرهان، ومع ذلك رفضوا الإيمان فأخذهم الله بذنوبهم فى الدنيا قحطا وبلاء ومصيبة، وسيأخذهم فى الآخرة نكالا وعذابا وهوانا..

وفى كلا الحالين يظل العناد مسيطرا عليهم، ويظل الكبر مانعا لهم من قبول الحق، وقد أكد القرآن سيطرة العناد على هؤلاء، وإغلاقه لنافذ الوعي والعقل لديهم حين قال فى سورة الأنعام:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِمَا يَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧) الأنعام الآية ٢٧.

فهؤلاء عاينوا العذاب وأشرفوا على الهلاك ووقفوا على النار، وتمنوا الرجعة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم وليصححوا أخطاءهم وليؤمنوا بما كذبوا به من قبل..

ومع ذلك تشدد وطأة العناد على قلوبهم وعقولهم فلا يؤمنون، قال تعالى ﴿ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢٨) الأنعام الآية ٢٨.

إن الإنسان في حياته يمر بمنح ومحن، والعاقل هو الذى يشكر عند الرخاء ويتضرع عند البلاء، ويعرف فضل الله عليه فى الموقفين..

فالرخاء والبلاء موقفان للفتنة، وليس أحدهما بأولى من الآخر فى حياة الإنسان على هذه الأرض.. قال تعالى ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ الأنبياء الآية ٣٥.

وحياة المرء لا تنفك عنهما، لكن الإنسان عجول، تطفيه النعمة وتنسيه النعمة، فيفرح أطرا بالخير ويجزع كمدا بالشر..

والإيمان بالله والاستعانة بالصبر والصلاة هو سبيل النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة.. قال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (١٩) إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ ٢٠ ﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ ٢١ ﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿ ٢٢ ﴾ المعارج الآيات من ١٩ - ٢٢.



## الوقائع تتكلم

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٧٦ - ٧٧.

حكم القرآن في الآية السابقة بتمادى المكذبين في طغيانهم مع حلول النكبات بهم ومصائب الزمن عليهم..

وهنا يقدم الدليل من واقع حياتهم وما نزل بهم.. لقد أخذ الله قريشا بعذاب بنئيس، فأصابهم القحط والجذب، ومنع عنهم القطر، وتقطعت علاقاتهم الاقتصادية بأهل اليمامة عندما أسلم ثمامة بن أثال وقال لأهل مكة: والذي نفسى ثمامة بيده لا تأتاكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، فجهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم إلا كتب إلى ثمامة يخلي لهم حمل الطعام، ففعل ذلك رسول الله ﷺ..

وأخرج البخارى بسنده عن ابن مسعود قال: إن قريشا لما استعصوا على النبى ﷺ دعا عليهم بسنين كنى يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله ﷻ ﴿ فَأَرْقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ

بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ الدخان الآية ١٠ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ :  
يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت ، فاستقى فسقوا فنزلت .  
فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله ﷻ يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ  
الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١١﴾ الدخان الآية ١١ ، يعنى يوم بدر..

فلم يفلح هذا العذاب العاجل فى حملهم على الانصياع للحق  
والانقياد للوحى المحمدى على رغم وضوح الحجة وقطعية الرهان..  
فماذا ينتظرون؟! .

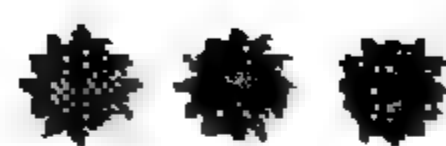
لقد توعدهم الله بعذاب شديد فى الدنيا قبل الآخرة يجعلهم مبلسين  
آيسين من كل خير ، متحسرين بلا أمل..

وهذا العذاب الشديد هو ما أصابهم يوم بدر ، حين قتل سبعون من  
أئمة الكفر ، على رأسهم أبو جهل ، وأسر سبعون آخرون ، وما من أهل  
بيت فى مكة إلا حلت بهم مصيبة..

وتوالت عليهم هزائم منكرة انتهت بفتح مكة ودخول الناس فى  
دين الله أفواجا..

والعذاب الشديد فى الآخرة لمن مات على الكفر هو عذاب النار  
وبئس المصير.. قال تعالى ﷻ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ  
﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ  
كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾  
الروم الآيات من ١٢ - ١٤ .

إن الإبلas هو اليأس والقنوط، وهؤلاء قد يثسوا من الثواب والنعيم،  
ولس ينقطع عنهم العذاب فى الجحيم.. قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ  
فِى عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٧٤) لَا يُفَرِّغُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾  
الزخرف الآيات ٧٤ ، ٧٥.





## **(ب) حوار حول العقيدة الإسلامية**

- وسائل المعرفة
- غابة الخلق
- الحياة والموت
- تقليد وجهل
- دلائل أرضية
- دلائل سماوية
- دلائل التدبير الإلهي
- تكذيب للحق
- دلائل الوحدانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ تَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ مَنْ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٩٠﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩١﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٢﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٧٨ - ٩٢ .

## وسائل المعرفة

**قال** الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ المؤمنون الآية ٧٨ .

تبين هذه الآية عطاء الله للإنسان في مجال العلم والمعرفة ، لقد منح الله الإنسان سمعا وبصرا وفؤادا ، فهذه وسائل المعرفة الحسية والعقلية ..  
والسمع في البيان القرآني مقدم إيجابا وسلبا ، وعندما سلب الله عن المنافقين والكافرين انتفاعهم بوسائل المعرفة قدم السمع فقال ﴿ صُمُّ بَكُمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٧١) ﴿ البقرة الآية ١٧١ .

وحين يقف الكافرون موقف الندامة يوم القيامة يتحسرون على عدم انتفاعهم بوسائل المعرفة فيقدمون السمع ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) ﴿ الملك الآية ١٠ .

ثم إن السمع في الإنسان أسبق وجودا ، فالطفل يسمع قبل أن يرى ، والسمع يستوعب الجهات كلها أما البصر فمحدد بجهة الأمام وبشروط معينة ..

والإنسان يسمع من مسافة أكبر من مسافة الرؤية ..

والإنسان يسمع في أوقات الظلمة وأماكنها التي تزيد على أوقات النور وأماكنه ..



ومن جهة أخرى فإن السمع مقدم في باب الأسماء الحسنى لله تعالى  
 كما في قوله جل شأنه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١) البقرة الآية ١٨١ ،  
 وقوله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) الحج الآية ٧٥ .  
 والأنبياء سمعوا كلام الله دون أن يروا ذاته العلية ، قال سبحانه  
 ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (٥١) الشورى  
 الآية ٥١ .

والإنسان السوى هو الذى ينتفع بنعم الله انتفاعا صحيحا ويشكر  
 المنعم سبحانه بالإقرار بربوبيته وألوهيته والولاء لمنهجه وشريعته ،  
 لكن هذا الصنف من البشر الذين عقلوا وآمنوا قليلون ، أما الكثرة  
 الكاثرة فلم ينتفعوا بوسائل المعرفة الانتفاع الذى يصل بهم إلى الحق  
 فى الاعتقاد ، والخير فى السلوك ، وبالتالى فقد ضاعت عليهم الفرصة  
 وفقدوا أثمن ما فى الوجود وأعز ما فى الحياة ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ  
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٦) الأحقاف الآية ٢٦ .



## غاية الخلق

قال **المؤمنون الآية ٧٩.** ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩)

خلق الله الإنسان فردا واحدا هو آدم عليه السلام ثم خلق منه زوجة حواء، ثم تكاثرت الذرية وانتشرت، وتباعدت الأماكن واختلفت، وتعددت الألوان واللغات وتنوعت.. قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) الحجرات الآية ١٣.

وتوالت البشرية جيلا بعد جيل، تواصل مسيرة الحياة، وقد هيا الله لها كل الأسباب، وذلّل لها كل الصعاب، ومهد لها كل شيء.. وكانت الأرض مستقرا ومستودعا، يقيم الإنسان على ظهرها في حياته، ويدفن في باطنها بعد مماته..

لكن هل تنتهي قصة الإنسان بالقبر؟!..

إن الموعد الله، ولن تكون الحياة عبثا، وإنما الغاية الكبرى هي البعث والحساب والجزاء، وهذا ما يحتم على الإنسان الولاء لله ورسوله، والحفاظ على منهج الوحي الإلهي، والالتزام الأمين بشرائع التنزيل..

والحشر إلى الله لا يعنى الحشر إلى مكان يحدد ذات الله ويحوى حقيقة القدسية، فالحياة مع الله والممات إلى الله، وكل شىء بالله والله..  
وانما المراد بالحشر إلى الله البعث يوم القيامة حيث ينفرد المولى سبحانه بالملك باطنا وظاهرا، ويقف ملوك الدنيا وسلطين هذه الحياة مواقف العبيد أمام ملك الملوك الذى ينادى ويقول: لمن الملك اليوم؟  
يأتى الجواب من كل جانب «الله الواحد القهار».  
وقد أخرج مسلم فى صحيحه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:  
قال رسول الله ﷺ: يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟  
وفى رواية أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك.. أين ملوك الأرض!!





## الحياة والموت

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٨٠) المؤمنون الآية ٨٠.

من خصائص الربوبية أن الله وحده يمنح الحياة لمن يشاء، ويمنعها ممن يشاء، وحدد لكل كائن أجلا مسمى، لا يستقدمه ولا يستأخره.. ولا ينازع في ذلك إلا مكابر يخدع نفسه ويمتهنها..

وهناك آية من آيات الله تشبه الحياة والموت، إنها آية الليل والنهار، فالليل يشبه الموت بظلمته، والنهار يشبه الحياة بحركتها.. وهما متعاقبان لمصلحة الإنسان، ويتوارد عليهما النقص والزيادة لمنفعة الحياة، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَددَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ (١٢) الإسراء الآية ١٢.

وعندما حاج الملك الطاغية وجادل إبراهيم الخليل في ربه، وجرى بينهما حوار عام حول دلائل الربوبية، قدم إبراهيم عليه السلام الحياة والموت ثم عقب بالشمس التي ترتبط بالليل والنهار، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ البقرة الآية ٢٥٨.

لقد قدم الطاغية صورة باهتة فأتى برجلين محكوم عليهما بالإعدام فعفى عن أحدهما وأعدم الآخر، وظن كاذبا أن ذلك خلق للحياة وخلق للموت، وكان الحوار أمام الجماهير الفوغاء التي لا تحسن التأمل فانتقل إبراهيم عليه السلام بسرعة إلى موقف آخر صريح وأمره بتغيير نظام الكون وتبديل سننه، فبهت الذي كفر وانقطعت حجته وغاب وعيه لأنه لا يستطيع الادعاء بأن له تصريفا في الكون فقد كانت الشمس قبل أن يولد هذا الطاغية، ثم أين هو الآن؟ ولماذا لم يحتفظ لنفسه بالحياة ويمنعها الموت ويكتب لها الخلود؟

ما أكذب المستكبرين في الأرض وما أظلمهم!!

إننا في حاجة إلى نظرة تأمل وتعقل كي نصح العقيدة ونستقيم على الخلق ونسعى إلى الخير، وبذلك نسعد في الدنيا والآخرة.



## تقليد وجهل

قال الله تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (٨١) ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (٨٢) ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٨٣) ﴿ المؤمنون ﴾  
الآيات من ٨١ - ٨٣.

قامت دعوة الأنبياء جميعا على تأكيد عودة الناس بعد الموت، وحسابهم بعد البعث، وجزائهم بالجنة أو النار في دار الخلود الأبدى..  
وعلى ذلك قامت دعوة سيدنا محمد ﷺ، فوعد وأوعد، وبشر وأنذر، وبرهن ودل على البعث والحساب والجزاء..  
لكن المشركين رفضوا الإيمان بقضية البعث تقليدا وجهلا، فرددوا مقالة السابقين: إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون، واستبعدوا الإعادة بعد أن يصيروا ترابا وعظاما، وتناسوا أن الإعادة أهون من الخلق، وأنهم مروا في النشأة الأولى بمراحل النطفة والعلقة والمضغة والعظام، ومع ذلك صاروا بشرا عقلاء يملأون الدنيا صياحا وصراخا وجدلا..  
ثم إن هؤلاء الرافضين للإعادة المنكرين للبعث ظنوا جهلا أن الإعادة تكون في هذه الدنيا وهم لم يشاهدوا ميتا خرج من قبره، ووصفوا مقالة الأنبياء حول البعث والجزاء بالخرافة وأنها ترديد لأساطير الأولين..



فالأساطير جمع أسطورة، وهى الشئ لا حقيقة له..

ألا ما أجهل هؤلاء المنكرين- وما أضل تفكيرهم!!..

لقد جاء أحدهم إلى الرسول ﷺ ومعه عظم إنسان ميت ففقتة وذراه

فى الهواء وقال: يا محمد أترى أن الله يحيى هذه؟

فقال عليه الصلاة والسلام: نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار

ونزل قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ

عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ

تُوقَدُونَ ۝٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن

يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ يس الآيات من ٧٨ - ٨٣.

إن الإعجاز الخلقى فى الإنسان يفوق كل تصور، والقادر على هذا

الخلق قادر على إعادته، وإذا كان الشئ يخرج من ضده، فالنار تخرج

من الشجر الأخضر فمن باب أولى يخرج الشئ من ذاته ويعود الإنسان

بعد أن يصير عظاما ورفاتا، والذي أبدع الأعظم من السماء والأرض..

يستطيع أن يبعث الإنسان ذلك المخلوق الضعيف..

قال تعالى: ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِّنْ خَلْقِ

النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ غافر الآية ٥٧.

## دلائل أرضية

**قال** ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **٨٤** ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ **٨٥** ﴿المؤمنون الآيات

من ٨٤ ، ٨٥.

تسوق الآيات هنا دلائل القدرة الإلهية المبدعة، كي يقر الإنسان بوحدة الخالق واستحقاقه للعبادة، وتفرد به بالسلطان وقدرته على البعث والحساب..

وتساءلت مع هؤلاء المشركين المنكرين للبعث: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **٨٤** ﴿لقد اهتم القرآن كثيرا بالأرض ومن عليها وما تحوى من آيات باهرات، فتحدث عن ماثها ملحة وعذبة، وذكر بما فيه من نعم شتى وثروات معدنية وحيوانية فقال ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَهُ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **١٢** ﴿فاطر الآية ١٢.

وتحدث القرآن عن نبات الأرض واختلاف أشكاله وأحجامه وطعومه وروائحها فقال ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَنِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ

مَنْ أَعْتَبَ وَزَرَعَ وَنَحِيلُ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ  
وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ الرعد الآية ٤.

وتحدث القرآن عن جبال الأرض وشموخها وطبقات الأرض  
وعجائبها فقال ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ  
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ  
تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا  
بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ  
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ النحل  
الآيات ٥ - ٨.

وهكذا تدعونا هذه الآيات إلى التأمل في تلك القدرة الإلهية المبدعة  
التي أتقنت كل شيء وأحكمته إحكاما..  
فهل هناك أحد غير الله يدعى هيمنة على الأرض وتصريفا لشئونها  
وإبداعا لكائناتها؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ النمل الآية ٦١.  
إن المنطق الصادق والجواب الصحيح أن الله وحده هو المالك الخالق  
المهيمن، والإنسان يقر بهذه الحقيقة كرها وطوعا، ويؤكد هذا حالا  
فعالا، ويرددها صمتا وصوتا، ويعقلها فكرا ووعيا ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ  
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ المؤمنون الآية ٨٥.



## دلائل سماوية

**قال** الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ ﴾

المؤمنون الآيتان ٨٦ ، ٨٧ .

تواصل الآيات عرضها لدلائل القدرة الإلهية فتتساءل مع المشركين عن السموات السبع والعرش العظيم، من المهيمن والمدبر والمبدع والخالق العظيم؟

إن آيات الآفاق أكثر من أن تحصى وتعد، ولقد لفت القرآن أنظار البشر إلى نواميس كونية وأجرام فلكية وحقائق عليا تدفع الإنسان دفعا إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، والإقرار بالبعث والحساب والجزاء..

فتحدث القرآن عن بناء السماء وضخامتها وشموخها وكواكبها ونجومها فقال ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩ ﴾ النازعات الآية ٢٧ - ٢٩ .

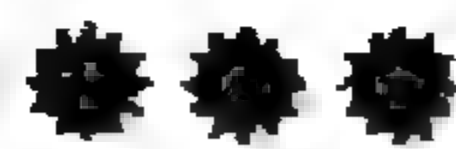
وتحدث القرآن عن تعدد السموات وامتدادها واتساع أرجائها وارتباطها بالأرض وتفاعلها معها فقال: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢ ﴾ الطلاق الآية ١٢

وتحدث القرآن عن ظواهر فلكية كالرعد والبرق والسحاب والمطر.  
وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ  
السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٢ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَيَّكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ،  
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ  
الْمِحَالِ ۝١٣﴾ الرعد الآيات ١٢-١٣.

أما العرش فللعلماء فيه رأيان: أحدهما أنه البناء المستوى الخالي  
من العيوب البالغ حد الروعة في الكواكب والنجوم والشجر والدواب  
فهذا هو المشاهد الذي يدخل في باب الدلالة على جلال الله وكماله،  
فإن كل بناء يسمى عرشا كما في قوله تعالى ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ رِمْعًا  
يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾ النحل الآية ٦٨.

الثاني أنه مخلوق أعظم من السموات والأرض لا يخضع للإدراك  
البشرى فهو أمر سمى، ويستدل على هذا المعنى بمثل قوله تعالى  
﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ الزمر الآية ٧٥، وقوله  
صلى الله عليه وسلم «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله  
ومن قطعني قطعه الله».

وأيا ما كان فإن المراد هو الدلالة على عظم القدرة الإلهية وجلالة  
السلطان الإلهي وأنه سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة..



## دلائل التدبير الإلهي

**قال** الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٨ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ ٨٩ ﴿ المؤمنون الآيات ٨٨ ، ٨٩ .

خلق الله الكون ودبر شئونه، وأبدع الكائنات وألهمها مسيرة حياتها..  
والملكوت هو الملك على سبيل المبالغة، فهو أعم منه وأوسع، ويشمل ما يرى وما لا يرى..

وتدبير الله متواصل لا ينقطع، وخلق الله متجدد لا يتوقف ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ٢٩ ﴿ الرحمن الآية ٢٩ ، وتتنزل الآية التي معنا من فسيح الكون وعلياء الملكوت لتمس حقيقة إنسانية لا يكاد ينفك عنها بشر، وهي أن الله تعالى يجير ولا يجار عليه، أي أن الله تعالى يغيث المستغيثين ويجيب المضطرين ويلبي دعاء المتوسلين ويمنح السائلين وتتواصل رحمته على عباده أجمعين..

وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال، ولا يملكون شفاعاة، ولا يستطيعون صرفاً ولا نصراً..

قال تعالى ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٢ ﴿ فاطر الآية ٢ .



وإذا كان الجواب الصحيح لكل التساؤلات التي طرحتها الآيات هو إضافتها إلى الله وحده فكيف ينساه المرء أو يغفل عنه؟ ولماذا لا يتخذ وسيلة قربى إلى الله، ووقاية من عذابه؟ ولماذا ترك نفسه فريسة للهوى والشيطان يخدعه عن الصراط المستقيم؟!

وقد جاء قوله تعالى ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ عَقَبَ آيَاتِ الْأَرْضِ، وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ (٨٧) ﴿ عَقَبَ آيَاتِ السَّمَاءِ، وقوله تعالى ﴿ فَإِنِّي تُسْحِرُونَ ﴾ (٨٩) ﴿ عَقَبَ آيَاتِ التَّدْبِيرِ، لحكمة بالغة، فالأرض أقرب إلى التذكير، والسموات أبلغ في التقوى، وتأمل التدبير الإلهي أقوى في التغلب على السحر والخداع..

فالإنسان يعيش على الأرض ويمسى ويصبح في أحضانها فينبغي أن يتذكر وحدانية الله في الخلق وقدرته على البعث، ثم إن السموات أكبر من خلق الناس وأعظم من كل ما حوله فهي أبلغ في دفع الإنسان لاتخاذ الوقاية وإعداد النفس للطاعة والاستقامة، ثم إن للمرء في التدبير الإلهي لذات نفسه والكائنات حوله لأمرًا عجبًا يمنحه أقوى الحجج والبراهين على الوحدانية والبعث فلا يستطيع أحد أن يخدعه عن هذه الحقيقة الواضحة..

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١) ﴿ الْأَنْعَامِ آيَةَ ٩١.



## تكذيب للحق

**قال** الله تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٩٠) ﴿ المؤمنون الآية ٩٠ .

لقد جاء سيدنا محمد ﷺ بالحق وصدق المرسلين، وناصر الفضيلة ودعا إلى الخير.. أما المشركون فهم كاذبون مكذبون، إنهم حين يرفضون الوحي المحمدي لا ينتصرون لحق ولا يدافعون عن قيم ولا يسلكون مسالك الرشاد..

إنهم كاذبون في كل دعوى يتقولونها حول الرسالة والرسول..

لقد كذبوا حين قالوا:

﴿ أَجْعَلْ لَّاهِلَةً إِلَهًا وَحِيدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٥) ﴿ ص الآية ٥ .  
وحيث قالوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الزمر الآية ٣ .

ولقد كذبوا حين ادعوا:

﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ ﴾ النحل الآية ١٠٣ .

﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ آفَรْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ الفرقان الآية ٤ .

﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (١٧) ﴿ الأسراء الآية ٤٧ .

لقد كذبوا حين زعموا:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾

الجاثية الآية ٢٤.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًّا إِيَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (١٩)

الإسراء الآية ٤٩.

والكذب هو شر ما يبتلى به الإنسان، وهو يمتد ليشمل العقائد

والسلوك..

والكذب قبيح غاية القبح لأنه رفض للحق وتمرد على الصدق

وانحراف عن الحسنى..

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا

جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ مِنَ اللَّهِ لِيُنْزِلَ فِي جَهَنَّمَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ كَذِبًا ﴾ (٦٨) العنكبوت الآية ٦٨.

وقال جل شأنه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ

جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ مِنَ اللَّهِ لِيُنْزِلَ فِي جَهَنَّمَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ كَذِبًا ﴾ (٣٢) الزمر الآية ٣٢.

فعاقبة تكذيب الحق ورد الصدق هي أسوأ العواقب في الدنيا

والآخرة، وحسب الكاذب جهنم يلتقى فيها مع كل من ستر الحق،

يصلها مذبذوبا مدحورا..

وقد توعد الله الكاذبين بالعسر في حياتهم كلها، فلا يفتحون

بابا إلا ويغلق، ولا يلجأون إلى طريق إلا ويسد، ولا يبدون عملا إلا

ويتوقف، ولا يفكرون إلا وتتشتت بهم الأهواء ولا يفلحون أبدا.. قال

تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَعْتَقَ ﴾ (٨) ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴾ (٩) ﴿ فَسَيَكُونُ لِلْعُسْرَى

﴿ ١٠ ﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ (١١) ﴿ الليل الآيات من ٨ - ١١.



## دلائل الوحدانية

قال الله تعالى ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ٩١ ﴿ ٩٢ ﴾ المؤمنون الآيات ٩١ ، ٩٢ .

الكون كله والملكوت بأجمعه صنع الله وحده، وتدبير إله واحد حكيم مبدع، له القدرة المطلقة والسلطان القاهر والحكمة البالغة.. وإذا ساءلنا الباحثين في علوم الطبيعة والفلك والأحياء على تعددها وتنوعها، عن النواميس الكونية لأكدوا بلسان اليقين الكامل أنها في دقة دقيقة وعلى نظام بديع وبضوابط يعجز العقل البشري عن الإحاطة بها..  
وصدق الله حيث يقول: ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ﴾ الملك الآية ٣ .

فوجود الخلق دليل على وجود الخالق، واستقامة الخلق دليل على وحدة الخالق، لكن الناس انحرف بهم الهوى فاتخذوا لله أندادا، واخترعوا له أولادا، وما قدروا الله حق قدره حين قالوا بالحلول أو الاتحاد أو التشبيه أو غير ذلك مما يتنافى مع الجلال والكمال والجمال الإلهي..

إن اتخاذا الولد نقص، وإن تعدد الآلهة عجز، وإن إنكار الألوهية ضلال مبين..

لقد ساقط الآية هنا دليلا فطريا بدهيا حين قالت ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ

إِلَهِكُمْ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١١).  
إن ملوك الدنيا في تنازع دائم وشقاق مستمر، والتاريخ الإنساني  
تاريخ حروب وزعامات ترتفع وتهوى، وملوك يعززون ويذلون،  
وحضارات سادت ثم بادت، ودول قامت ثم سقطت.. وهكذا دواليك..

ثم نبهت الآية إلى جانب مهم يؤكد الفارق بين الإله الحق وبين  
الآلهة المزعومة، فالغيب كله لله، غيب الماضي والحاضر والمستقبل، ولا  
تتكامل المعرفة لبشر ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) ﴿يُوسِفُ  
الآية ٧٦، فمن يتناول إلى مشاركة الله في ملكه، أو إلى مشابهة الله في  
صفاته، أو إلى منازعة الله في سلطانه؟!

ويسوم ادعى فرعون أنه الرب الأعلى سقط غريقا بلا منقذ، ثم لفظه  
البحر ببدنه ليكون عبرة للأولين والآخرين، وحين ادعى النمرود أنه  
يحيى ويميت كذب على نفسه قبل أن يكذب على غيره، وإلا فأين  
هو الآن؟! والذين يزعمون معرفة الغيب بالسحر والكهانة والتنجيم  
يخدعون أنفسهم أولا، فهم أشقى الناس ولا يدفعون عن أنفسهم مرضا  
ولا فقرا ولا موتا..

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ  
يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥) ﴿النمل الآية ٦٥.

## **(ج) العاقبة للمؤمنين**

• الحكم لله وحده

• أدب الدعوة

• همزات الشياطين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٩٤ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ٩٥  
أَدْفَعْ بَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُلْ  
رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ  
يَحْضُرُونِ ٩٨ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٣ - ٩٨.

## الحكم لله وحده

قال الله تعالى ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيْكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٩٣ - ٩٥.

جرت سنة الله مع أنبيائه أن تكون العاقبة لهم وأن ينصرهم على عدوهم، كما قال جل شأنه، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات الآيات من ١٧١ - ١٧٣، وسيدنا محمد ﷺ على شاكلة إخوانه من النبيين والمرسلين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فأمن به من آمن وكفر به من كفر..

فإذا طال عناد المكذبين واستمروا الاستهزاء بالحق فماذا ينتظرون؟ إن بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين لا بد أن يحقق بهم، وقد يمتد العذاب إلى من ركن إليهم ومالاهم وسكت على غيهم..

ولهذا علم القرآن المجيد الرسول ﷺ أن يستشعر دائما مقام العبودية الضارعة أمام الله عز وجل فقال ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٩٤.

وهذا فى الحقيقة تعليم لنا وتوجيه، فإذا كان الرسول وهو المعصوم وصاحب الدعوة والمنصور بالله يطالب بأن يدعو الله أن يباعد بينه وبين القوم الظالمين وأن يستعين بالله على ذلك فنحسن- المعترفين بالذنب المقصرين فى الطاعة - أولى وأحق..

والآية هنا تهديد بليغ للمكذبين فإن وقوع العذاب عليهم أقرب من لمح البصر، فقد يأخذهم الله بياتا وهم نائمون أو يأخذهم صخى وهم فى أنديتهم ساهون، أو يفاجئهم العذاب وتتوالى عليهم المصائب من حيث لا يشعرون، والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وقد جعل لمهلكهم موعدا لا ترده قوة ولا تمنعه شفاعة ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴾ (٩٥)

لقد أخذ الله قريشا بسنين كسنى يوسف قحطا وجديا وبلاء حتى أكلوا العظم والشجر، وهزمهم هزيمة منكرة فى بدر الكبرى، ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فى غزوة الأحزاب، وفتح الله لرسوله فتحا مبينا ودخل المسجد الحرام بأصحابه محلقين ومقصرين لا يخافون عام عمرة القضاء، ثم جاء نصر الله ودخل الناس فى دين الله أفواجا وحطم الرسول أصنام قريش فى العام الثامن للهجرة وارتفع من فوق ظهر الكعبة نداء الحق وانتشر نور الله فى الآفاق..





## أدب الدعوة

قال الله تعالى ﴿ادْفَعْ بِأُتَى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦) المؤمنون الآية ٩٦.

تأمر الآية الكريمة رسول الله ﷺ أن يصبر ويصابر فى سبيل الدعوة إلى الله، فيتعامل مع أعدائه بالحسنى التى تعنى احتمال الأذى، وبيان الدليل، وملاحظة الحديث ما لم يؤد ذلك إلى نقص دين أو ضياع حق أو انتهاك حرمة..

إن التعامل بالحسنى يدفع العدو العاقل إلى التأمل والتريث وفطام النفس عن مواصلة الأذى، ومراودتها عن الإيمان..

وقد جاء هذا المعنى مؤكداً ومكرراً فى القرآن المجيد فى عهده المكى والمدنى، وسمى بالهجر الجميل والصفح الجميل والجدال بالحق هى أحسن والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) المزل الآية ١٠، أى لا عتاب فيه.

وقال جل شأنه ﴿فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) الحجر الآية ٨٥، وهو تجاوز الذنب والإحسان إلى المسىء. وقال سبحانه

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت الآية ٤٦ ، أى بالرفق واللين وحسن الخطاب.

وقال عز اسمه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل الآية ١٢٥ ، والحكمة هى إصابة الحق وفعل الخير..

والمسلم مطالب بالدفع بالتى هى أحسن فى الدعوة والسلوك والمعاملة ، وذلك بأن يعفو عن ظلمه وأن يصل من قطعه وأن يعطى من حرمة وأن يحسن إلى من أساء إليه ، فالأخلاق هى ثمرة العبادات كلها ، وفى حديث رواه الترمذى قال رسول الله ﷺ : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال : «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» وفى رواية «إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه» وفى رواية «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».

ولا يعنى ذلك أن المسلم يرضى بالهوان ، ويقيم على الضيم ، ويضيع حقوقه بل إن المسلم حكيم يعرف متى يحمل السيف ومتى تنفع الكلمة ، ويعرف متى يصول ويجول ومتى يناقش ويجادل ، ويعرف متى يغضب ويثور ومتى يلين ويرحم.. فلكل مقام مقال ولكل حادثة حديث ، ولكل حال ما يناسبها..

## همزات الشياطين

قال الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴿ المؤمنون الآيات من ٩٧ ، ٩٨ .

إن الشيطان متربص ببني آدم ، يثير بينهم الفتنة ، ويدفع بهم إلى العدوان ، ويصرفهم عن الحق ويدعوهم إلى الفحشاء والمنكر والبغى ..  
والهمزات جمع الهمزة وهى الدفع والتحريك بشدة ، وهمزات الشياطين تكون بإحدى وسيلتين :

١ - الوسوسة بأن ينفث فى روع الإنسان المؤمن عوامل الغضب ويبث فيه الرغبة فى الانتقام ، ويدفعه إلى عنف القول والسلوك .  
وهذه الوسيلة الشيطانية يمكن التغلب عليها بذكر الله والوضوء والثقة فى نصر الله والطمع فى ثوابه تحقيقا لقوله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) آل عمران الآية ١٣٤ .

٢ - دفع الأعداء إلى مواصلة الاعتداء وتزيين القبيح من أعمالهم التى تسىء إلى الآخرين كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ (٨٣) مريم الآية ٨٣ ، أى تغريهم بالمعصية وتدفعهم إلى إيذاء المسلمين ..



ويمكن التغلب على هذه الوسيلة الشيطانية بمداواة الأعداء وملاطفتهم بما لا يقدح في الدين أو إعداد العدة لمقاومتهم وجهادهم بالنفس والنفيس..

وفي كلا الحالين فالمسلم مطالب بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين في حياته كلها، وقد جاء الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن فقال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل الآية ٩٨).

وإذا دخل المسلم المسجد قال «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» روى ذلك أبو داود. وإذا أوى المسلم إلى فراشه قال: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» كما رواه أيضا أبو داود.

ويحصن المسلم أولاده بما حصن به النبي ﷺ الحسن والحسين فكان يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة». كما رواه البخاري، بل إن المسلم مطالب عند معاشرة زوجته أن يقول: «باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، كما رواه البخاري.



## المصير الإنساني

- لحظة فاصلة
- النفخ في الصور
- الحساب والعاقبة
- حوار وتقريع
- عاقبة صبر المؤمنين
- حسرات
- حكمة الخلق
- خاتمة السورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي  
أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ  
وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا  
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ  
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ  
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ  
﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ  
تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا  
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا  
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا  
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا  
ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ  
سِيخَرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾  
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ  
كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عِددٌ سِينِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ



يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ  
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ  
إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ  
لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ  
الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴿ المؤمنون الآيات من ٩٩ - ١١٨ .

## لحظة فاصلة

قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ ﴾ المؤمنون الآيات ٩٩، ١٠٠.

خبر يسوقه المولى من وراء الغيب عبرة لأولى الألباب، إن الظالم والكافر والفاسق الذى يرتع فى الدنيا ويستخدم نعم الله فى معصية الله ويجاهر بمعصية الله ورسوله، ويعيث فى الأرض فسادا- يظل سادرا غافلا حتى تأتية لحظة فاصلة لن يتقدمها أو يتأخر عنها، إنه الموت والانصراف من الدنيا والاقبال على الآخرة بحسابها وجزائها..

هنا يتذكر الإنسان ما سعى، لكنه تذكر لا قيمة له ولا جدوى منه فيقول الإنسان ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ﴾ ٩٩.

إنه يسأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحا غير الذى كان يعمل من السيئات والفواحش.. ولم يسأل الرجعة لمآكل يشتهيها أو ملابس يقتنيها أو قصور يعيش فيها..

وتلك أمنية خاسرة لأنها جاءت فى غير موعدها وبلا أسباب تقوم عليها وقد فقدت كل معنى يمكن أن يساهم فى تحقيقها..

لقد منح الله الإنسان أجلا في الحياة الدنيا ويسر له أسباب الهداية وأمه بنعم لا تعد ولا تحصى وحذره من عداوة الشيطان ثم تغافل الإنسان عن كل ذلك وأعرض ونأى بجانبه، ولهذا استحق هذا الرد الزاجر وهذه الإجابة الرادعة ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فهي مجرد كلمة لا مدلول لها، وقائلها كاذب فيما رتب عليها كما قال تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨) الأنعام الآية ٢٨.

وقد عبر القرآن عن هذه الكلمة بأكثر من أسلوب، فهي: ﴿يَلَيِّنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِثَائِتٍ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧) الأنعام الآية ٢٧.

﴿رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فاطر الآية ٣٧.

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ الأعراف الآية ٥٣.

﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (١١) الشورى الآية ٤٤.

وسيعمل هذا المنحرف عن الدين في برزخ أى مرحلة متوسطة بين الدنيا والآخرة هى مرحلة عذاب القبر وظلمته، ليس معدودا من أهل الدنيا ولا من أهل الآخرة، فهو فى هذا الوعيد الشديد حتى يخرج الناس من قبورهم يساقون إلى المحشر لفصل الخطاب.





## النفخ في الصور

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠١) ﴿ الْمُؤْمِنُونَ الْآيَةُ ١٠١ .

للعلماء أقوال في النفخ في الصور هي:

١ - النفخ ثلاث مرات، الأولى نفخة الفزع، وهي نفخة تورث الرعب الشديد ولكن الناس لا يموتون، كما قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ النمل الآية ٨٧.

والنفخة الثانية نفخة الصعق وهو الموت، قال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ الزمر الآية ٦٨.

والنفخة الثالثة هي نفخة القيام من القبور والبعث والنشور، قال تعالى ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (٦٨) ﴿ الزمر الآية ٦٨ .

٢ - ومن العلماء من يرى أن النفخ مرتان هما نفخة الفزع أو الصعق فهذه واحدة ونفخة القيام وهذه هي الثانية، ففسر الفزع بالصعق. وأيا ما كان فإن المراد بالنفخ في الصور في سورة المؤمنون هي النفخة الأخيرة يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

والصور آلة إذا نفخ فيها ظهر الصوت ضخما عظيما فهي تكبر الصوت وقيل: الصور جمع صورة والمراد النفخ فى الأرواح لتحل فى الأبدان للقيام للحساب والجزاء، أما النفخة الأولى فهي لتخرج الأرواح من الأبدان فيبيت الناس صرعى..

وعندما تقف الخلائق أمام الله الملك الحق المبين لا ينفعهم غير إيمانهم ولا يغنى عنهم مال ولا ولد، ولا ينتصرون بقوة أو عدة، وتسقط اعتبارات البشرية من الأنساب التى تشفع أو تجامل أو تحابى فالكلى يفر من الكل، والجميع يود الفداء بالجميع قال تعالى ﴿يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِبَنِيهِ ۖ﴾ (١١) ﴿وَصَحْبَتِهِ ۖ وَأَخِيهِ ۖ﴾ (١٢) ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۖ﴾ (١٣) ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ﴾ (١٤) المعارج الآيات ١١ - ١٤.

وقد وقف رسول الله ﷺ فى اليوم الأول للدعوة وقال- كما فى صحيح البخارى- يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغنى عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سلىنى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا.

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١) ﴿نَفِي لَتَسْأُلَ التَّوَّابِينَ﴾ (١٠٢) والمعارج الآية ١٠، وإثبات للهول والشدة والفرع كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ

الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُتِيَهُ وَأَيُّهُ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبُهُ وَبَيْنَهُ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ  
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴿ عبس الآيات ٣٤ - ٣٧ ، وحيث إن يوم القيامة  
طويل وعسير وشاق ففيه مواقف يتعارفون في بعضها ، ويتساءلون في  
بعضها ويتحирون في بعضها .





## الحساب والعاقبة

قال الله تعالى ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (١٠٤) ﴿المؤمنون

الآيات من ١٠٢ - ١٠٤.

إذا قام الناس من قبورهم وسيقوا إلى المحشر، وتجمع الأولون والآخرون قضى الله بينهم بالحق والعدل فيصير الناس فريقين فريقا في الجنة وفريقا في السعير..

وثقل الميزان وخفته له عدة معان:

إنه كناية عن العدل المطلق الذي يلقاه الإنسان يوم الحساب أو أن ثقل الميزان يعنى عظم الأعمال الصالحة عند الله وثوابها الجزيل، وخفة الميزان تعنى قبح الأعمال السيئة والعقاب المترتب عليها..

وقيل: إن الميزان حقيقة شرعية ووردت تساؤلات بشأنه: هل هو ميزان واحد لكل الأعمال ولجميع البشر؟ أو لكل فرد موازين؟ وهل الموزون هو العامل أو نفس العمل أو جزاء العمل أو صحف الأعمال؟.

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان:  
«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وفى صحيح البخارى أيضا قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتى الرجل  
العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: اقرأوا  
﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥) الكهف الآية ١٠٥.

فمن رجحت حسناته فهو المفلح الفائز ومن خفت حسناته وزادت  
سيئاته فهو المفلس الخاسر..

وركزت الآيات هنا على جانب الخاسرين بياناً لعقابهم وتذكيراً  
بقبائحهم وإعلاناً لسوء موقفهم من دعوة الحق ودعائه، فذكرت ألوانا  
من العقاب، فهم فى جهنم خالدون لا تلحقهم رحمة الله، وتلفح  
وجوههم النار فلا كرامة لهم، وهم فيها كالحنون، والكلوح أن تنقلص  
الشفقان وتتباعدا عن الأسنان، فهو تشويه للقم واللسان تلك الآلة التى  
كذبوا بها على الله وسخروا بها من عباد الله، وأنكروا بها البعث  
والحساب والجزاء.. فهم الآن يواجهون العاقبة السوء مواجهة لا  
خلاص منها ولا انقطاع لها، فالخلود فى الجحيم هو العقاب العادل  
لكل كافر خاسر..



## حوار وتقرير

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِي تُنَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ ﴾ المؤمنون الآيات من ١٠٥ - ١٠٨ .

تقدم الآيات هنا أسباب العذاب الذى يلاحق الخاسرين الخالدين فى جهنم ، وتسوق هذه الأسباب على جهة التقرير والتوبيخ والتأنيب ، فهم يدركون حقيقة موقفهم ..

لقد جاءتهم النذر من بين أيديهم ومن خلفهم ، وقامت عليهم الحجة وظهرت لهم البينات والمعجزات فرفضوا دعوة الحق وأبوا الانقياد للوحى الإلهى وعاثوا فى الأرض فسادا ..

وأمام هذه الحقيقة لم يجد هؤلاء الخاسرون إلا الاعتراف المهين واتهام النفس الذليل ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝١٠٦ ﴾ .

والشقاوة والشقوة سوء العاقبة ، والضلال هو الهلاك والضياع ..  
لقد اختاروا لأنفسهم هذه النهاية المهلكة بفساد اعتقادهم وانحراف سلوكهم وقبح أعمالهم ومواقفهم العدائية تجاه دعاة الحق وأنصاره ..

وفى هذا اليوم العصيب الذى لا تقبل فيه شفاعة، ولا يؤخذ فداء،  
ولا تتبدل الأحكام يتناسى هؤلاء الضالون تلك الحقيقة فينطقون بكلمة  
لا جدوى منها ولا فائدة لها قائلين: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا  
ظَالِمُونَ ﴾ (١٠٧)

إنهم يريدون العودة إلى الدنيا للقيام بالتكليف الشرعى واتباع  
الأنبياء والاستقامة على الهدى، وتلك أمانى كاذبة فات أوانها،  
ومضى وقتها..

ولهذا يجابون بما يتناسب مع غفلتهم وسوء تفكيرهم ﴿ قَالَ أَخْسُوا  
فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴾ (١٠٨)

والخسأ هو البعد والذل والطرود والإبعاد، وهى من الكلمات التى  
تقال للكلب وغيره.. وهذا ما يتناسب مع هؤلاء الضالين، إنهم فقدوا  
إنسانيتهم وضيعوا كرامتهم، وتنزلت بهم المهانة إلى تلك الدركة  
من الحيوانية..

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢٣)  
النحل الآية ٣٣.





## عاقبة صبر المؤمنين

قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا قَالَ فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المؤمنون  
الآيات من ١٠٩ - ١١١.

لا يزال التقريع مستمرا مع الخاسرين الذين خسروا أنفسهم في الدنيا واستحقوا النكال في الآخرة..

لقد كان من أسباب عذاب هؤلاء الخاسرين - استهزاؤهم بالمؤمنين والضحك من عبادتهم لله رب العالمين..

إن قضية المؤمنين في كل زمان ومكان هي إصرارهم على عقيدة التوحيد، واعتزازهم بالولاء لله ورسوله، وطاعتهم لمنهج الوحي الصحيح طاعة لا تعرف ريبة ولا يعتريها تردد ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾، لكن الخاسرين على مدى العصور يأتون إلا تدنيس الفطرة، والتمرد على الحق، والخروج على الاستقامة، وتمتد أيديهم وألسنتهم بالسوء على الطاهرين المؤمنين الصادقين..

وقد انشغل الخاسرون بهذا الإيذاء البدنى والنفسى للمؤمنين غرورا  
بقوتهم فى لحظة من لحظات الزمن، وتناسوا حقيقة الحقائق وكبرى  
اليقينيات وهى ذكر الله الواحد الأحد ذى الجلال والإكرام..

وما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين ولا ليخذل الصادقين الصابرين،  
الذين تحملوا البأساء والشدة فى سبيل عقيدتهم، فقد وعد الله - ووعد  
الحق - أن ينصرهم فى الدنيا وأن يمنحهم الفوز الأوفى بالفردوس فى  
الآخرة قال الله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ غافر الآية ٥١.

وهذا الفوز للمؤمنين الصابرين يعلنه الله تعالى على الملأ من الأولين  
والآخرين يوم يقوم الناس لرب العالمين لتزداد الحسرة على الكافرين  
ويتضاعف الخزي والسوء على المستكبرين..

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
دَاخِرِينَ ﴾ غافر الآية ٦٠.



## حسرات

**قال** الله تعالى ﴿ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾  
 قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ  
 لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات  
 من ١١٢ - ١١٤.

يظل الخاسرون في حوار وسؤال تبكيت لهم وتقريع ، لتتضح الحقيقة  
 كاملة ويزدادوا هما وغما وكربا ، ولتحيط بهم الحسرة من كل جانب..  
 فيقال لهم: كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟

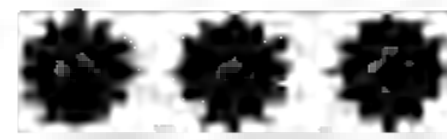
السؤال عن مدة إقامتهم في الدنيا أو مدة مكثهم في القبور..  
 فإذا كان الأول مرادا فالمعنى أن هؤلاء الخاسرين قد منحوا فرصة  
 العمر وجاءهم النذير في إطار العقل الذي كرم الله به بنى الإنسان كما  
 قال الله تعالى ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ  
 الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ  
 النَّذِيرُ ﴾ فاطر الآية ٣٧.

فيكون السؤال دافعا لهم إلى الاعتراف بضلالهم وانحرافهم  
 وبعدهم عن الحق ، وسفهم وضعف عقولهم لأنهم لم ينتفعوا بنعمة  
 الحياة الدنيا..

وإذا كان الثانى مرادا فالمعنى أن هؤلاء الخاسرين قد عاجلهم عذاب  
القبر عقب موتهم وظلوا فيه أحقابا حتى قامت الساعة، ويكون السؤال  
بياناً لهم أن سابق عذابهم لا يساوى شيئاً بما ينتظرهم من عذاب الخلود  
فى الجحيم..

وقد تناسى الخاسرون المدة سواء كانت عمرهم فى الدنيا أو عذابهم  
فى القبر، وغاب عقلهم عن استيعاب الموقف وأحالوا الجواب إلى من  
يستطيع الإحصاء ﴿ قَالُوا لَيْثًا يُومًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ (١١٣) ..  
ويأتى الجواب الإلهى ﴿ قُلْ إِنْ لَيْثُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١١٤) ليؤكد لهم الحقيقة المرة، وهو أن مكثهم فى  
الدنيا أو عذابهم فى القبر ليس إلا قليلاً لما ينتظرهم من حياة السرد  
وعذاب الأبد..

ولو عقلوا هذه الحقيقة ما قالوا كلمة الكفر ولا فعلوا فعال الجاهلية  
ولا وقفوا موقف العداء والاستهزاء من أهل الحق..





## حكمة الخلق

قال الله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ ١١٦ ﴾ المؤمنون الآيات ١١٥ ، ١١٦ .

نقترب من ختام سورة المؤمنون كي تقرر الحقيقة الغائبة، وهي أن الإنسان لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى، وأن له موعداً لن يخلف مع الله رب العالمين..

فالإنسان تشغله ماديّات الحياة، وتغريه مطالب الشهوة، ويخدعه الشيطان حتى ينسى حكمة خلقه وغاية وجوده.. فليس من المعقول أن يوجد الإنسان بما يحمله من عظام الخلق وغرائب التدبير، وبما منح من مزايا، وما خص به من تكريم، ثم يكون ذلك الخالق عبثاً لا هياً، لا يرتب الأسباب والمسببات ولا يدرى الحكم والغايات..

أو يكون ذلك الخلق للعبث واللهو فيمارس الإنسان حياته بلا مسئولية ويقضى عمره بلا تبعات..

كلا الأمرين: عبث الخالق أو عبث المخلوق مستحيل، فكل ما حوى الوجود ينطق بالحكمة، قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾  
ص الآية ٢٧.

وقال جل شأنه ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿٣٦﴾ القيامة  
الآية ٣٦.

فلا بد - إذن - من رجعة إلى الخالق، رجعة فوق التصور، ولا تخضع  
لموازين البشر، فهي ليست رجوعاً من مكان إلى مكان، يحتاج إلى  
مواصلات وقطع الفياق والقفار، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

فالبعث حق، والذي أبدع الخلق الأول لا يعجزه أن يعيده ثانياً،  
بل الإعادة أهون في نظر العقل والمنطق، قال تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي  
أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ يس الآية ٧٩.

وقال جل شأنه ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ  
عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾  
الروم الآية ٢٧.

إن الباعث هو الله الملك الحق الواحد الأحد رب الكون بأجمعه ومدير  
أمر الكائنات كلها، فالملك هو المالك الحقيقي لا يبيد ملكه ولا يزول،  
والحق هو المستحق للجلال والكمال والجمال، وهو الثابت أزلاً وأبداً،  
لا إله إلا هو فهو المعبود بحق لا معبود سواه..



## خاتمة السورة

قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ المؤمنون الآيات ١١٧ ، ١١٨ .

تأتى هذه الخاتمة لسورة المؤمنون تأكيدا لعقيدة التوحيد القائمة على العقل والنظر والمدعمة بالحجة والبرهان فإن الإيمان لا بد أن ينشأ عن علم، قال تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد الآية ١٩ .

فالنواميس الكونية الثابتة والنظام البديع المحكم، واستقامة الخلق كل فى مسيرته- دليل وحدة الخالق.. قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء الآية ٢٢ .

والذين يدعون إلها آخر ويتخذون لله أندادا- يتمردون على منطق العقل الصحيح وستكون عاقبة أمرهم خسرا، وحسابهم على الله، أى إن عقابهم بلغ من الشدة والقسوة والقوة ما لا يقدر عليه إلا الله، فهو وحده الذى يوفى الكافرين جزاءهم الذى يستحقونه هوانا وذلة وصغارا وشقوة أبدية.. وهنا مجموعة ملاحظات:

• قوله ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ بصيغة المضارع يفيد استمرار الشرك وامتداد الانحراف العقلى مع بقاء الإنسان، فلن تخلص

الدنيا للحق أو للباطل وستظل سنة المدافعة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

● قوله ﴿لَا بُرْهَانَ لَكُمْ بِهِ﴾ بيان للواقع فليس هناك إله آخر ببرهان، فدعوى الشرك قائمة على التقليد الأعمى والانسياق المجرد والاستهزاء بالعقل..

● قوله ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧) جاء في ختام السورة الكريمة ليناسب افتتاحها الذي أثبت الفلاح للمؤمنين في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)، فهما نقيضان في الاعتقاد والجزاء، فالإيمان نقيض الكفر، والفلاح نقيض الخسران.

● جاء الأمر بالدعاء بالمغفرة والرحمة عقب اثبات بطلان دعوى الشرك، وتحقيق الجزاء المهين للمشركين، كما جاء الأمر نفسه في سورة محمد عقب العلم بتوحيد الله عز وجل في قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ محمد الآية ١٩، فكل الموقفين يحتاج إلى لطف من الله وعون منه سبحانه، فالإقلاع عن الشرك يحتاج إلى التماس مغفرة الله ورحمته، وعقيدة التوحيد تحتاج إلى تطهير مستمر والتجاء إلى مغفرة الله وعفوه..







## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة .....	
- ثمرات الإيمان .....	٩
- دلائل الإيمان .....	٣٣
- فكر قوم نوح عليه السلام .....	٥١
- فكر قوم هود عليه السلام .....	٦٧
- فكر بنى إسرائيل .....	٨٣
- قانون الصراع الفكرى .....	٩٧
- الرسالة العامة الخالدة .....	١٢٥
( ا ) دلائل النبوة المحمدية .....	١٢٥
( ب ) حوار حول العقيدة الإسلامية .....	١٤٢
( ج ) العاقبة للمؤمنين .....	١٦٢
- المصير الإنسانى .....	١٧٠

**العدد  
القادم**

**رؤية علمية فى ألفاظ قرآنية  
د. أشرف صبحى**

## **الاشتراكات**

**اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام**

**الاشتراك السنوى :**

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهاً.
  - الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
  - الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.
- تسدد قيمة الاشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات بمجلة أكتوبر ١١١٩  
كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة**





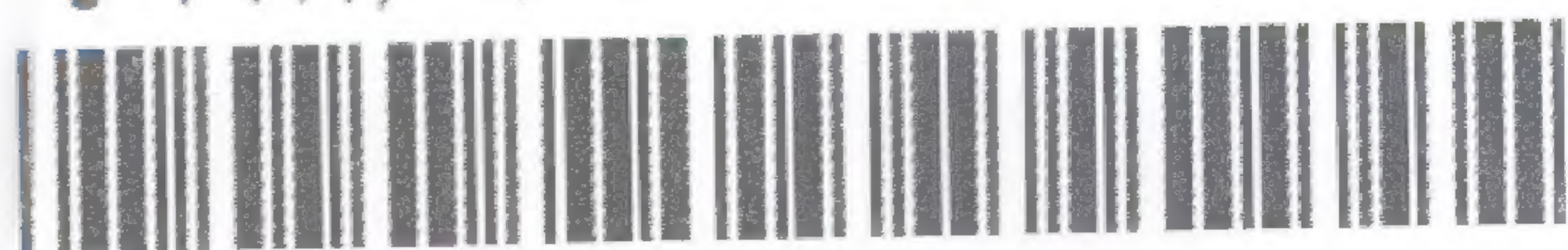
إن مسيرة الفكر البشرى لا تنفصل  
عن الوحي القرآنى. والصراع بين الحق  
والباطل، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين  
الحضارة الإنسانية والتخلف البشرى هو  
النموذج لذلك اللقاء. وإن قصة التاريخ هى  
قصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين  
كانوا مشاعل الهداية للإنسانية الرشيدة.  
وهذا الكتاب يحكى فكر الشعوب  
من خلال وقفة خاشعة أمام سورة «المؤمنون»  
التي تتحدث عن:

- الإيمان وثمراته ودلائل الحق فى العقيدة.
- فكر قوم نوح عليه السلام.
- فكر قوم هود عليه السلام.
- فكر بنى إسرائيل.
- فكر المشركين فى الجزيرة العربية.
- دعوة الحق التى جاء بها الرسول الخاتم  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.



دار المعارف

٤٠٧٩١١/٠١



Bibliotheca Alexandrina



0665112